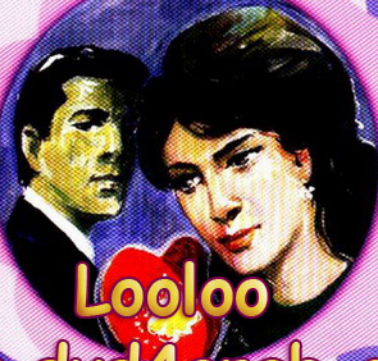


روايات مصرية الجيب

زهور

97

اغفر يا قلب



Looloo

www.dvd4arab.com



هذه السلسلة ..

عندما تتحول حياة الفرد منا إلى صحراء جرداء ..
وعندما تجف مشاعرنا وتستحيل إلى أغصان يابسة ..
يتوق قلب كل منا إلى الحب .. الحب الذي يروى هذه المشاعر .
فيعيد إلى أوراقها الخضرة .. ويبدل صحراءها إلى بساتين
مزهرة ، ورياض غناء .

إنه الحب .. الحب بمعناه الرحب : حب الحبيب .. حب الابن ..
حب الأب .. حب الأم .. حب الوطن .. حب البشر ..
هذه الكلمة السحرية التي تذيب أحجار القلوب .. وتنبث
الزهور الياقة في صخور المشاعر الصلدة ..

إنها الزهور التي ينشدها كل منا في لحظات اليأس .. وفي
لحظات الغضب .. وفي لحظات الكراهية .. وفي لحظات
الجفاف .. فتشبع عبيرها الفواح في ثنايانا ، وتعيد الخضرة إلى
قلوبنا ، والربيع إلى مجهولتنا ، والامل إلى حنايانا .

إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، وبإبعاده عن
الأثنية والرغبات والشهوات ، لهو أعظم شئ خلقه الله فى هذا
الوجود !!

وفى هذا الزمن الذي طغت فيه الأطماع المادية والأثنية
الفردية ، نحن نحتاج الآن لمن يسمو بمشاعرنا .. نحتاج لهذا
النوع من الحب .. نحتاج لزهو نستشقى عبيرها ، فتحرك
مشاعرنا ، وترقق عواطفنا ..

وفى كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا ننقل من زهرة
إلى زهرة .. فى بستان ملؤه جمال المشاعر .. ورقة
الأحاسيس .. وزهور الحب .

المؤلف

١- العودة ..

وقف (يوسف) متردداً فى الدخول ، أمام الحجرة التى
تحوى مكتب (ونام) .. أحكم قبضته على الحقيبة الصغيرة
التي يحملها ، وكأنها على وشك الهرب منه ..

فكر فى أن يعود من حيث أتى وحرك قدميه فى قلق .. فى
النهاية حسم تروده ، ولخل مفكراً ، فى أنه لا شئ لديه ليخسره ،
سوى الأمل الضعيف الواهن ، الذى يداعبه من وقت لآخر .

أما إذا نجح فى مهمته ، فإن لديه الكثير ليربحه ..

استقرت عينا (يوسف) على (ونام) تراقبها ، وهو يتقدم
بخطوات قصيرة ثابتة - برغم ارتجاف قلبه - نحو مكتبها ..

وقف أمام المكتب منتظراً أن تلحظه ، لكنها لم تشعر به ،
كانت منهمكة كلياً فى عملها ..

أراد أن يقف لفترة أطول ليشبع عينيه منها ، لكن قلبه آلمه ..

لم يتحمل عذاب كرها له ..

لم تغد ترويه ..

إنها لم تغد له ..

رفع الحقيبة التي يحملها ، ووضعها أمامها على المكتب ،
انتبهت (ونام) في هذه اللحظة ، ونقلت عينها في بطن من
الحقيبة إليه ، وهي مندهشة ..

حملت عيناها إليه أحاسيس شتى زادت من ارتباكها الداخلي .
خفض (يوسف) بصره ، وأسرع بالكلام قبل أن تخونه شجاعته :

- تفضلى ..

أشار لحقيبة تركها من يده على المكتب ، وقال :

- هكذا يكون حقك وصل إليك ..

رفع عينيه ليختطف نظرة إليها قائلا :

- وأكون أنا قد أرضيت ضميري ..

قال كلماته واستدار مغادراً ، محاولاً أن يكون هذا أكبر
هدوء ممكن .. تماكنت (ونام) نفسها من الصدمة .. وأخذت
شهيقاً قوياً ردّاً على إحساسها بأنها لم تتنفس منذ لحظة
دخوله .. وقامت تناديه :

- انتظر .

لم يستدر ، واستمر في طريقه ..

برغم أنه أراد أن يقف ..

ويستدير ..

ويرد عليها ..

يكلمها ويسمعها ..

لكنه لم يستطع ، مضى وكأنه لم يسمعها ، شعر أنه لن
يحمل النظر إليها مرة أخرى .

حملت (ونام) الحقيبة ، وذهبت خلفه مهرولة لتلتحق بخطواته
الواسعة دون أن يعينها إن كان لم يسمعها فعلاً أو أنه
يتجاهلها في بساطة .. لم تتوقف لتفكر ..

لم يكن قد ابتعد كثيراً ، وبمجرد أن اقتربت منه وضعت يدها
على كتفه تستوقفه .. لم يكن لديها استعداد لنطق اسمه ..

(يوسف) الذى لم يسمع وقع خطواتها خلفه من كثرة
انشغاله بالفرار ، كان يعلم جيداً ملمس هذه الكف التي بالكاد
لامست كتفه ..

لم يجد بدا من مواجهتها فاستدار إليها ..

نظر إليها .. ونظرت إليه .

كانت نظراته تقول الكثير .. ولم ترغب هي في الدخول
مع عينيه في حديث بغير طائل لها .. فركزت بصرها على
الحقيقية بيديها وسألته :

- ما هذه الحقيقية ؟؟

- إن بها حَقّك .

رفعت إليه نظرة فارغة ، فأخذ الحقيقية من يدها وفتحها
ليريها ما بها .. كان بداخلها حِزَمٌ نقدية قليلة لكنها من فئة
كبيرة ولكنها قالت :

- يا إلهي !!

فزعت (ونام) ، واستندت إلى الحائط ، ثم أفافت لنفسها
وأُسْرَعَتْ تَخطِف منه الحقيقية وتغلّقه وهي تتلفت حولها ،
داعية الله ألا يكون أحد قد رأى ما حدث :

- هل جئنت ؟؟

قالتها بصوت غير مرتفع لكن شديد الغضب ..

تأملها مندهشاً من رد فعلها العصبى المبالغ فيه ولم يرد ..
نظرت له في نفاذ صبر ، وهي تمد يدها له بالحقيقية
نادمة على أنها أخذتها من يديه :

***** ٨ *****

- خذها واذهب .

صرفته دون أدنى اهتمام بأصول اللياقة ، لم يسمح لطريقته
في الكلام بآثاته ، وقال :

- لا .

قالها ببساطة .. لكن بتصميم واضح .. أشار إلى الحقيقية
في يديها وأكمل في هدوء :

- الحقيقية معك .. وهذا مكانها الصحيح ..

نظر في ساعته ، وقال :

- أستاذك لأن لدى موعد مهم .

استدار ذاهباً فأُسْرَعَتْ تستوقفه :

- انتظر .. إما أن تأخذ الحقيقية ، أو

سكتت تفكّر واستدار هو لها متسائلاً عن كنه الخيار الذي
ستعرضه عليه .. أو التهديد الذي ستلقيه في وجهه :

- .. أو انتظرني للذهب وتحدث في مكان آخر غير هنا .

***** ٩ *****

قالت العرض ، وكأنها قد تسحبه مرة أخرى ، أراد إبداء موافقته على الفور ، وكادت أن ترتسم على شفقتها ابتسامة ، لكن ما قالته بعد ذلك بسخرية لاذعة منع الابتسامة قبل أن تظهر :

- دعك من موضوع الموعد المهم الذى تدعيه .

قست نظراته .. كانت تتهمه بالكذب ولم يكن هذا جديداً منها لكن هذا لا يمنع من أن كلامها آلمه ، فقال :

- لدى موعد بالفعل .. لكنى مستعد لتأجيله إذا كنت على استعداد لمقابلتى والكلام معى .. لقد أتيت واتصرفت مسرعاً كى لا أثقل عليك بوجودى .

ابتسم ساخراً ، وهو يكمل :

- خاصة وقد أفهمتنى بأوضح ما يمكن آخر مرة أنك لا تريدين رؤيتى مرة ثانية .

لم تعجبها السخرية فى كلامه ، وكأنه يلوح إلى أنها غيرت رأيها ، فسارعت تنفى هذا الخاطر من ذهنه ، قائلة :

***** ١٠ *****

- أنا لم أقل إنى أريد مقابلتك .. لكنك مصمم على ترك هذه الحقيقة لى ، فأقل شىء هو أن نتكلم .

فهم (يوسف) الرسالة التى أرادت إبلاغها له ، فقال :

- لا تخافى .. فأنا لم أخطئ ، وأعتقد أنك أردت رؤيتى .

أخذ الحقيقة منها ورفع سبابته ، وهو يقول مهدداً :

- لكن إذا لم تأت ساعود ، وأتركها على مكتبك .

لم يكن من حقه أن يهددها بأى شىء ، أو يملى عليها أوامر لكن حضوره صمها ، وجعلها غير قلرة على استجماع أفكارها .

حذى (يوسف) بها ليرى رد فعلها على كلماته ، ولما أيقن أنها استوعبت تهديده ، أكمل قائلاً :

- سأذهب إلى الكافيتريا القريبة .. أعتقد أنك تعرفين مكانها .

نظرت إليه متألمة من اختياره لهذا المكان بالذات ..

بالتأكيد كانت تعرفها وتعرفها جيداً أيضاً ..

***** ١١ *****

كم مرة التقت به فيها .

كم من الأحلام شهدت عليه ..

أومات له في بطء ، وتركته لتستأذن في الانصراف من العمل ، وذهب هو ليجري مكالمة تليفونية ؛ ليؤجل الموعد الذى لم يكن على أى قدر من الأهمية الآن ..

ليس أهم من رؤيته لها ، والحديث معها ، على كُل الأحوال .

إن إحضاره للنقود لم يكن إلا حجة لرؤيتها ..

نعم .. أراد توصيل النقود لها ، لكن هناك أكثر من طريقة ليفعل ذلك ، دون أن يقابلها لو أنه يريد ..

لكنه كان يتمنى أن يعود ، يملأ عينيه منها ..

يسمع صوتها وهى تتحدث معه للحظات ، ولو بالتعنيف ..

كان هذا أقصى ما يتمناه ، لكنه نال أكثر مما تمنى ، فها هى تريد لقاءه وأيا كان المبرر الذى دفعها لهذا الطلب ، فقد كفاه قبولها للقاءه .

***** ١٢ *****

تعهد (يوسف) ألا يختار مائدتهم المعتادة ، واختار أخرى فى مواجهتها ، جلس ينتظرها .. عندما دخلت راقب عينيها وهى تتجه لمائدتهم المعتادة ، ورأى فيها ومضة ألم مرّت سريعاً حتى إنه شك فى حدوثها ..

دارت بعينيها تبحث عنه ، فوجدته بسهولة فى القاعة شبه الخاوية من الناس .. تأملها وهى قادمة نحوه .. لم تتغير كثيراً ، لم تتغير أبداً ، فكّر ثم تراجع ما عدا أشياء قليلة .. ربما بدت كامرأة عميلة ..

أو ربما بدت أكبر سناً وأكثر تجربة .. كان هناك جدية فى هيتها لم تكن موجودة فى الماضى .. فى الماضى تتهدّ وهو يكرر الكلمة فى عقله .. هكذا أصبح الحديث عنها ..

حديث عن الماضى والذكريات ..

شعر بألم فى صدره وهو يتذكر كيف كانت ، كانت كزهرة ربيعية متفتحة تنشر أريجها فى كل مكان ..

***** ١٣ *****

البسمة لا تفارق شفقتها ، حتى ملابسها كانت ذات ألوان
زاهية جميلة ..

النظر إليها في حد ذاته كان بهجة لا تُعادل بهجة .

سرح في التفكير وتنهَّد متصراً .. بمجرد أن وصلت (ولم)
إلى المائدة التي يجلس عليها .. أسندت كفها عليها قليلة :
.. ماذا تقصد بما فعلت .. هل تريد تعريضى لتهمة تقضى
رشوة ؟

ابتسم رغماً عنه من انفعالها ، وقال :

.. اجلسى من فضلك وأخفضى صوتك .. فلو أن هذا ما يخفيك
فلا داعى لإسماع كافة الموجودين أنى بصدد إعطالك رشوة .
التفتت حولها ، لم يكن هناك رواداً كثيرين بالمكان ، ومع
ذلك جلست ، خفضت صوتها ، وهى تعيد كلامه دون أن تصدى
أذنيها :

.. أنت بصدد إعطائى رشوة ؟؟؟؟!!

.. هذا ما تقولينه أنت .

أجابها متعجباً من أن يخطر ببالها هذا الأمر .. ثم منذ
متى وطبيعة عملها تحتمل أخذ رشوة ؟ فتسائل :

***** ١٤ *****

.. لم يتم رشوتك بالله عليك ؟!

فهى - إذا لم تخفه ذاكرته - تعمل موظفة بشئون العاملين
بإحدى الشركات الخاصة ، ولم يكن هناك أى سبب يخطر
فى ذهنه ليطم عرض رشوة عليها ..

ساد صمت لدقيقتين قبل أن ترد ، قائلة :

.. لا يوجد عمل يخلو من الرشوة الآن .. كان شكلك ملفناً
جداً ، وأنت تدخل وتترك الحقيبة على مكتبى .

شعر أن حديثها غريب .. نظر إليها مبتسماً من كلامها
ولم يستطع مقاومة أن يسألها :

.. ملفت لمن ؟؟

ارتبكت قليلاً ، وقالت :

.. لزملاي طبعاً .

تذكر ما حدث بوضوح .. كان كل من زملايها الثلاثة
الذين يشاركونها حجرة المكتب مشغولين فى شىء ما ، ولم
ينتبه أى منهم له .. ولكنه أدرك عقم المجادلة فى الأمر مع
إصرارها عليه ، فتمتم رغماً عنه :

.. لا بأس .

***** ١٥ *****

رفع الحقيقة ، وأكمل :

- خذها الآن .. لأحد من زملائك هنا .

نظرت (ونام) إلى الحقيقة ، وكان بها مرضاً معدياً ، أو كأنها حيوان سينقض عليها ويفتك بها فى أية لحظة ..

شعر بالضيق من رد فعلها ، وقال :

- ماذا بك ؟ هذا حقك .. وأنت تعرفين ذلك ..

سكت للحظة .. ثم أكمل متمهلاً وهو يركز نظره عليها .

- لو ما زالت تذكرين شيئاً عنا ولم تمحى كل شيء من ذاكرتك ..

بادلته النظرات ، كان يكرر كلامها : سأمحو كل شيء عنا من ذاكرتى .. كان هذا نص كلامها .. وتذكرته بدقة ..

عندما قالت له هذا ، كان رده أنها لن تستطيع .. وقتها عادت ، وأكدت له أنها ستفعل وبكل بساطة ..

فى الحقيقة لم تستطع ، تمتت من كل قلبها أن تكون هذه الكلمات قد تحققت ، لكنها لن تعترف بهذا له الآن .. تجاهلت كلامه ، وسألته متصنعة عدم تذكر أى شيء :

- أى نقود تلك ؟ وأى حق ؟!

- نقودك .. نصيبك من شركتنا .

- أنت تعرف أنه لم يكن هناك ثمة شركة ..

نظر لها مستكراً كلامها ، فعادت تؤكد كلامها :

- نعم لم تكن شركة .

علت صوتها نبرة حزينة وامتلات عيناها حزناً .. كانت تتذكر جيداً هذه النقود ، ومعظمها كان ثمن الشقة .

شقتها .. والتي كانت من الأصل من ماله هو ..

جاء يستشيرها - بل يطلب قرارها كما قال - وقتها - هل يقوم ببيع الشقة ويوجل الزفاف ، ويقوم بإنشاء مشروع ، ثم يعاود شراء شقة أفضل ، وتكون دفعة أفضل لمستقبلهما معاً ..

ألم يتزوجان بمجرد أن يتما التجهيزات بإمكانياته البسيطة .

ترك لها الخيار ..

ماذا كانت ستقول له ؟؟؟!

حتى مجرد طريقة نطقه للخيارين ، واضح فيها ماذا يفضل هو ...

شجعتة على بيع الشقة ، ليس لأنها لم تكن راضية بإمكانياته ، بل كانت أكثر من راضية ومقتنعة ، وأخبرته بذلك ، لكنها أرادت أن يجد فرصة أحسن .. أحست وقتها أن هذا ما يريد هو ، فلم ترغب فى تقييده ..

كما أنها كانت مؤمنة به ، وبقدراته .

وأفكاره ..

وعزيمته ..

شجعته (ونلم) ، بل أعطته مدخراتها البسيطة التي كانت تنوى
المساعدة بها فى تأييث الشقة ، عاشت أيام البحث الجاد ..

صبرته ..

خففت عنه ..

انتشلته من إحباطه ..

أعطته كل الدعم المعنوى الذى يحتاج إليه ، ومشيت معه
خطوة خطوة .

كاد أن يتراجع مرّات ، ويترك اليأس يهزمه ، لكنها لم
تسمح له ..

دفعته ..

حمسته ..

أخبرته أنها على استعداد لأن تصبر حتى يحاول مرة
واثنتين وثلاثاً .. حتى يستنفد كل المحاولات ..

كانت على استعداد لأن تحارب العالم ، كى لا ترى اليأس
والهزيمة فى عينيه .

***** ١٨ *****

آم .. وألف آم من عينيه التي كانت تشرق وهى تخبره
باستعدادها للانتظار ، وبإيماتها به .

.. وعاد يخبرها أن مدخراتها وثمان الشقة لم يكفيا ..
ليس للمشروع الذى يحلم به .. أو على الأقل ليس فى
القاهرة ، وقال :

- المستقبل للسياحة .. سأذهب إلى الغردقة .. وأنت تعرفين
أنى عملت بها فترة الإجازة الصيفية طوال سنّى الدراسة
فى الكلية .

استطردت قائلة :

- على بركة الله .. اذهب .

تردّدت كلمة اذهب فى عقلها ، مع الندم على أنها قالتها ..
على تشجيعها له على الذهاب .. لكنها لم تكن تعرف
ما سيحدث ..

لم تتخيله للحظة .. وأن ما أراده سيكون سبب انفصالهما ..
كانت قد شعرت من قبل بإحساس الندم هذا ، لكنها طردته من
فترة ، وأخبرت نفسها أنها اكتشفت على حقيقته ، وهذا
أفضل من أن يتم الزواج ثم يخونها .

سرحت مع أفكارها فى الماضى .. وكان هو سارح فيها ..

فيما هى عليه الآن ..

***** ١٩ *****

فيما فعلته السنة والنصف أو السنتان الماضيتان بها ..

كانت يدها خالية من دبلة الخطبة ، بل كانت خالية تماماً
من أى حلية تزينها ، ووجهها مطفاً ، كذلك نظرة عينيها ..
افتقدت البريق المعتاد لهما والحماسة ..

والابتسامة ، تلك التى لم تكن تفارق شفثيها كلما نظرت
إليه ..

طوال الوقت الذى حدثها فيه لم يرها تتبسم ولو ابتسامة
صغيرة ، ولو مجاملة للساقى أو لزملائها ، أو لنفسها ..

آلمه هذا أيّما إيلام .

عرف من البداية أن هذا اللقاء سيكلفه غالياً .. وسيفتح
جروحاً ، لن تغلق وإن كانت قد هدأت قليلاً ..

تكلم فى النهاية :

- بل كانت شركة ..

- لم تكن ثمة أوراق .

- أية أوراق تلك التى تتكلمين عنها ؟ لقد كانت كلمتى
لك وكلمتك لى .

***** ٢٠ *****

«ليته لم يقل هذا» .. هذا ما تمنّته هى ، وما تمنّاه كذلك
هو الآخر بمجرد أن رأى نظرتها له .

نظرات لم يعرف كيف يصفها ، وكأنها حمامة مذبوحة ،
تعانى خروج الروح .

خرجت الكلمات من فمها بصعوبة ، وهى ترد عليه بعد
لحظة صمت :

- كلمة شرف .. أليس كذلك !؟

لم يكن هناك تأنيب فى صوتها .. كما حدث من قبل .. هى
لا تؤنبه الآن ، ولكن صوتها الجريح أظهر مقدار عذابها ..

ابتسمت بمرارة ورفعت نظراتها إلى عينيهِ ..

تشابكت نظراتهما لحظة ..

لم يتحمل ..

حوّل عينيهِ متألماً ..

أغلقهما ، وضغط على أسنانه ..

كان يعرف أن هذا سيكون ثمن لقاؤه بها من قبل أن يأتى ،
وأتى وهو على أتم استعداد لدفعه .. وأكثر منه فقط لو أذى
ذلك فى النهاية لعودتها إليه ..

***** ٢١ *****

عاد يتجاهل ما قالت ، وسألها :

- إذا لم يكن ما بيننا شركة .. فماذا كان ؟

كانت جملة « أخبرني أنت » على شفيتها ، لكنها منعها من الخروج .. أرادت أن تنهى اللقاء دون أن تعود للتقلب في أوراق الماضي ، وقالت :

- المبلغ الذى أعطيه لك - لو أن هذا ما تقصده - كان مبلغاً صغيراً ، ولم أكن أتوقع رده اعتبره ..

رفعت كتفها وهى تفكر « نعم لم أكن أتوقع رده ، نقود كانت تحلم أن تدخل فى تأسيس بينهما » .

أكملت كلامها بلا مبالاة :

- اعتبره هبة .. هدية .. اعتبره أى شيء يرضيك .. أنا لا أريده .

- المبلغ الصغير كبير .. كانت شركة ، على الربح والخسارة .. ولا يعقل أن تتحمل الخسارة دون أن تجنى الأرباح .

فكرت بمرارة ، لا يعقل أن يحدث هذا ؟؟ إذا لم يكن قد حدث ؟؟ نعم لم يكن من العقل فى شيء .. لكنه حدث ..

تحملت الخسارة ، كل الخسارة .. وهل بعد خسارتها له شيء ؟؟

هل يظن أن حفنة المال التى أتى بها ستعوضها ؟؟ عن ماذا أم ماذا ؟

هناك الكثير مما فقدته .

سنى الخطبة .

حبها له ..

أحلامها معه ..

أحلامها به ..

ثقتها به ..

بل ثقتها فى الدنيا كلها .

وحتى ثقتها فى نفسها .

نفسيتها التى دُمّرت .

كلام الناس المقربين قبل غيرهم .

الجرح التى شعرت به ..

جرح كرامتها ، ومن قبله جرح قلبها .

لم يكن باستطاعتها أن تحصى .. بدأت الدموع تتجمع فى

عينها دون أن تشعر ، لكنه هو رآها ، لاحظ أول بوادرها ..
وقرر أن يفعل شيئاً ما ، عرف أنها لن تغفر لنفسها البكاء
أمامه ، وعرف أن دموعها ستمزقه ..

مدّ يده وأمسك كفها ، وقال :

- أقسم لك ..

تكلم وقلبه ينتفض بين ضلوعه ، لكنها لم تتركه يكمل ..
نفضت يدها من يده بقوة وقامت ، قائلة :

- تقسم لى؟؟ وهل جرؤت على قولها ؟

تكلمت فى عدم تصديق .. قام هو الآخر ، وهى تكرر :

- تقسم لى؟؟ على ماذا ستقسم ؟ وبماذا ستقسم ؟ وكيف
سأصدقك ؟!!

خرجت مسرعة ، فتبعها حاملاً الحقيبة واستوقفها محيطاً
ساعداً بكفه .. حاولت إبعاد يده فلم تستطع برغم أنها
لم تشعر بأنه يمسكها بقوة ، وقالت :

- أرجوك .. أنا لا أريد شىء منك .. اتركنى لحالى ..

- لن أتحدث لو يريحك هذا .. لكن خذى المال فهو من
حقك .

تحدث برقة شديدة لم تهتم لها (ونام) أو تتقبلها :
- لا أريد ..

حركت رأسها فى عصبية .. ترك ساعدها ، ثم أردفت :

- خذهُ لنفسك .. احرقه .. ألق به فى النيل .

حركت يدها فى الهواء ، وكأنها تلقى بالمال فعلاً ، وقالت :

- تصدّق به .

هدأت قليلاً وتكلمت كأنها وجدت الحل :

- نعم تصدّق به ، فقد يغفر الله لك .

- أنت تعرفين أنى لم أرتكب إثماً لأطلب غفران الله ..

نظرت له فى قسوة لكن نظرتها لم تهزه .. ويرغم تأكده
من أنه لم يذنب فيما فعله ، ولكنه أكمل :

- على أى حال إن حدث ، فإبنى سأصدق من مالى .. أما
مالك فهو لك ..

التقط أنفاسه فى هدوء ، وأكمل :

- احرقه .. ألقه في النيل .. تصدق به .

نظرت باحتقار لتكراره كلامها .. فردت على نظرتها
بتحد :

- نعم تصدق به ، لعل الله يغفر لك .

اشتعلت غضباً من كلامه ، فصاحت به :

- يغفر لى أنا ؟؟؟ وماذا ارتكبت أنا لأطلب المغفرة !!!

كانا يقفان في الشارع يتحدثان دون اهتمام للمارة الذين
لفت انتباههم الجدال الدائر .

- ألا تعرفين ! حرمتنا من بعضنا .

- أنا .. أنا .. من فعل هذا !!!

شعرت بالدوار .. وبأعصابها تحترق ..

ماذا يريد منها ؟؟

أريد إعادتها لحالة الانهيار التي عانت منها
شهوراً ؟؟

تساءلت في نفسها وقد ذهلت من جرأته .. ماذا يريد
منها ، وهى بالكاد تحاول استعادة حياتها بعيداً عنه ..

ألا يكفيها ما فعله بها ؟

أريد الإجهاز عليها ؟

عادت نبرته ترقى ، وهو يقول :

- أرجوك .. أعطنى فرصة أدافع عن نفسى .. أشرح لك
ما حدث من وجهة نظرى .. اتركينى أحكى لك ما حدث ،
واحكمى أنت .. وأعدك أنك لو سمعيتنى ثم ظلت على رأيك ،
فلن ترى وجهى مرة أخرى .. أبداً .

قال الكلمات الأخيرة بتصميم .

لم ترد عليه .. أحس أن عدم معارضتها له تحمل أملاً ،
مما شجعه على معاودة الكلام :

- أستحلفك بالله وبكل ما هو غالى لديك .. بما كان
بيننا ، لو كان له قيمة وقتها ..

نظرت له وفكرت في نفسها .. لو لم يكن له قيمة لما اتهارت .

عاود الكلام وهو يراقب نظراتها ، علّه يرى فيها ما يبعث
فى نفسه بعض الطمأنينة :

- بالله عليك .. اجعلى هذه آخر مرة .. لقد مرّت فترة
طويلة ، وربما الكلام الآن أجدى من الكلام وقتها .

فكرت .. معه حق فى أنه قد مرّ وقت طويل .. ومن
أدرى منها بطول الوقت الذى مرّ ..

نهار بعد نهار .. وليل بعد ليل ..

فى الوقت ذاته كان (يوسف) يأمل أن تكون نفسها قد
هدأت .. متسامحة .. أمنية لم يقلها حتى لنفسه ، فإن له
كرامة هو الآخر .. وقد سمح لها بإلحاجه مرّة وثنتين ، وتزلزل
عن بعض كبريائه ، واستسمحها مرّة بعد الأخرى ، لكنها كانت
كالصخر الصلد الذى تحطمت عليه كل محاولاته ، وكأنه
أمواج هائلة ضعيفة ، أمام صخر صلد ..

ردت عليه بعد تفكير عميق :

- ماذا ستقول ؟

لم يتركها تكمل .. فهو يعلم أنها رافضة لأن تسمع أى
شئ ، وستعود لتخبره بأنه مهما كان ما يقوله فلن يعنى لها
شئ ، ولن يغيّر ما حدث .. لكنها لم تكن هذه المرّة حاسمة
فى رفضها .. لمح بعض التردّد ، فعاد يحاصرها بكلامه :

- اسمعنى وحسب .. ماذا لديك أكثر لتخسريه .. اسمعى
قصتى من بدايتها لنهايتها .. فإن أفتنك شئ منها فلعله
بريق أمل ..

قالها بشئ من التفاؤل ، ثم أكمل فى استسلام :

- وإذا لم يحدث ، تكونين قد فعلت كل ما تستطيعينه ..
ولو أمام نفسك ..

فكرت فى كلامه .. ربما معه حق ، وبعد كل هذا الوقت
لن تخسر شيئاً من أجل ما كان بينهما ، واستطردت قائلة :

- غداً الجمعة ، قصلى بى بعد غد مساء لأخبرك رأىى .. فثنا
الآن متعبة جداً ، ولا أريد الوقوف فى الشارع أكثر من هذا .

تركت الباب مفتوحاً لنفسها ، كى لا تندم بعد ذلك على
أنها وافقت ، أو على أنها لم تفعل .

أتلج الكلام صدره ، وأرضاه أنها لم تسرع بالرفض كالعادة ،
وإن أزعجه التعب البادى عليها ، فأسرع قائلاً :

- اسمح لى بالقيام بتوصيلك .

- لا .. وشكراً لك .

عاد يلح عليها قائلاً :

- لكنك لست بخير .. سأركب معك التاكسى فقط ، لأطمئن
أن شيئاً لم يحدث لك ، وأنت وصلت المنزل بسلام .

كادت تعترض .. فسارع يقول :

- اعتبرينى راكباً آخر .

لم يكن لديها أدنى جهد لمعارضته ، فتركته يقتادها إلى
التاكسى الذى أوقفه ، وركب بجوارها ..

فكر حائراً وهو جالس بجوارها ، هل يتركها لتفكر على
مهل ؟

أم يضغط عليها الآن لتوافق على سماعه ؟

***** ٣٠ *****

فقد تكون هذه فرصته الأخيرة والوحيدة للحديث
معه !!

كاد يعاود الحديث ، لكنه أشفق عليها عندما أمعن
النظر فى وجهها رآها مهزوزة ..

حتى وقت رفضها له ، تكن محطمة هكذا ..

نعم ، هو على علم بتهيارها لشهور ، لكنه لم يرها منهارة ،
ولم يتخيل إلى أى حد وصلت ..

فدائماً ما رآها قويه ، ومعتزة بكرامتها وكبريائها .

سأل السائق التوقف أمام منزلها ، وراقبها حزيناً وهى
تبتعد دون أن تلتفت ولو مرة ؛ لتتظر إليه .. لكنها فعلت ، فقط
بعد أن دخلت إلى مدخل العمارة ، ودون أن يستطيع هو
رؤيتها ..

دققت النظر إليه ، وهو منتظر فى السيارة لترى ملامحه

***** ٣١ *****

مرّة أخرى .. وكأن كل هذا الوقت الذي مرّ عليها معه لم يكفها . كانت ملامحه المحفورة في ذاكرتها والتي اجتهدت في محاولة نسيانها قد أوحشتها ..

كان قرارها تمزيق كافة صوره كلها .. حتى التي كانت معه فيها ، بل إنها مزقت صورها التي التقطها هو لها ، وكل صورة حملت ذكرى معه أو مناسبة لهما معاً .. أو حفلة حضرتها معه .. كان قراراً صعباً ، لكنها أخذته وحسمته ..

لم تترك صورة واحدة تقع عيناها عليها ..

لم تخفب صورة ..

لم تنس أو تتناسى صورة .. كلها بلا استثناء مزقتها ، ثم أحرقتها ..

خيل إليها وقتها أنها لم تطو هذه الصفحة من حياتها ، بل مزقتها ، وكأنها لم تكن موجودة في الأصل .

وها هي تعود بعد ما يقرب من السنتين ، تعود للتفكر

***** ٣٢ *****

فيه .. تعود لتقرر هل يستحق أن تسمعه ؟

ألقت بجسدها المنهك على أول كرسي صادفها داخل المنزل ، وأغمضت عينيها ، وهي تتنفس بملء رئتيها ، محاولة الاسترخاء ، مقررّة عدم ترك نفسها تدخل في مطحنة التفكير الآن .



***** ٣٣ *****
[٣٣ - زهور عدد (٩٧) اغفر يا قلب]

٢- أول الحكاية ..

جلست (ونام) فى مقعد ذى مسندين ، وتركت نفسها تغرق فى نعومتها وهى تنتظر إلى (يوسف) الجالس أمامها على كرسي أقل راحة وأعلى من كرسيها ، وهو يستند بمرفقيه على فخذه ، ويشبك أصابعه أمامه ورأسه منحنى ..

دارت بعينها فى حجرة الصالون ، التى طالما شهدت زيارته لهم .. لم يجنب نظرها شئ بالتحديد ، فعادت تنظر إليه لكنها لم تحاول النظر فى عينيه ، ولم يحاول هو الآخر مواجهتها ، لم يبد وثاقاً فى نفسه كما كان عندما طلب منها أن تسمعه .. ولم تكن هى الأخرى على أننى قدر من الثقة فى نفسها .. لم تعرف إن كانت قد أخطأت أم أصابت بسماحها له بحكاية ما حدث ..

سألت نفسها :

هل كان فضولاً؟؟

« لم يكن كذلك » قرّرت بحسم ، وإلا لما رفضت سماع أى أخبار عنه طوال هذه المدة ..

الآن هى تريد أن تعرف وبوضوح ما حدث ..

***** ٣٤ *****

لن تنكر أنها فى بعض اللحظات شكت أن لها يداً فيما حدث ..

إن عليها ولو القليل من الذنب ، رغم سخافة الفكرة وبُعدها عن الحقيقة .

طل صمته وبدا مرتبكاً ، ولم تفرح (ونام) لتردده ولرتبكه .. جلس أمامها لوقت ليس بالقصير دون قول كلمة واحدة ..

كان من الواضح أنه يجد صعوبة فى إيجاد بداية يحكى منها .. أو كلمات تصف ما حدث .. ولم تشعر هى بأى رغبة فى مساعدته ، أو حتى تعجله .

لكنها رغماً عنها أشفقت عليه ، وكرهت ذلك .. كرهت أن تدعه يثير فيها أى إحساس سوى الغضب .. والكراهة .. والرفض .

أرادته مغروراً ومعتداً بنفسه .. كما كان عندما أتى إليها أول مرة ، يخبرها بقلته بكل بساطة .

أرأته هكذا الآن لتكرهه أكثر .. لاتحب أن تراه مستسلماً هكذا . وخرجت منه الكلمات متعثرة :

- كنا .. أأ .. كنت ..

***** ٣٥ *****

أراد البدء من معرفته بها وحبها لها .. من إحساسه بأنها تستحق ما هو أفضل بكثير من إمكانياته المتواضعة .. من الفكرة التي جاءت له بأن يحسن مستقبله ببيع الشقة ، وعمل مشروع قد يؤجل زفافه لفترة ، ولكنه في النهاية سيعطيه دفعة ، ويجعله أقدر على إسعاد (ونام) .. حبيبته . أراد ذكر كل الأوقات والمشاعر الجميلة التي تقاسمها ، لعلها تشفع له عندها .

لكنه عاد وأدرك عقم المحاولة .

شعر أنه من الأفضل البدء من بعد ذلك كله .. فلو أن لكل مامرٍ عليهما مفاً قيمة ، فلعلها باقية كما هي ، لا تحتاج لإظهارها إلا إزالة هذا الحاجز الذي وجد فيما بعد .. عندما ذهب إلى الغردقة ..

بمجرد إدراكه ذلك ، تدفق الكلام من بين شفثيه ، وكل ما حدث هناك يعود إلى ذهنه ، وكأنه يحدث من جديد .

كان قد ذهب إلى الغردقة قبل بيع الشقة أو ترك عمله بالقاهرة ، وتأملها بنظرة مختلفة .. فهو لم يأت ليعمل بالإنجازة الصيفية ، ويستمتع في وقت الفراغ القليل المتاح ، بل أتى لينى مستقبله ،

***** ٣٦ *****

أو لبحث عن فرصة لفعل ذلك بمبلغ من المال ، جزء منه سيكون ديناً في رقبته ، والجزء الآخر كل أحلامه ومستقبله .

درس السوق بتأن ، وفكر في المشروع الذي يناسب النقود التي لديه وخبراته ، ورأى أكثر من مكان معروض للإيجار أو البيع .. حاول فعل كل شيء بالصورة الصحيحة .. واجتهد في البحث حتى وجد ما يريد .

عاد إلى القاهرة ، وقم استقلته من عمله ، وباع الشقة ، وأخذ النقود من (ونام) ووضعها مع باقي مخزونه التي كان يستعد لإنفاقها على حفل الزفاف وتثبيت الشقة .. وضعها في البنك بانتظار سحبها بعد الاتفاق الأخير مع أصحاب الكافيتريا السياحية التي نوى تأجيرها ، وتجربة حظه قبل أن يقدم على شرائها .. كان أكثر من حذر في كل خطوة أخذها .

استرسل (يوسف) في الكلام ، وهو يحكى لـ (ونام) كيف كانت الأيام الأولى صعبة وكيف واصل الليل بالنهار وهو يعمل في دأب على تجهيز الكافيتريا واختيار العاملين بها ، استعداداً لافتتاحها في أقصر وقت ممكن ، كي لا يتجاوز فترة السماح القصيرة ، التي منحها له أصحاب الكافيتريا ، لينهى عمل التجهيزات دون أن يكون ملزماً بدفع إيجار ، ويبدأ في العمل وتحقيق الربح .. لم تكن مهمة سهلة لكنه كان متحمساً وسعيذاً ببذل أقصى جهد ، ونجح فيما أراد ، وتم الافتتاح ، وبدأ العمل .

***** ٣٧ *****

لم يسلم (يوسف) الإشراف على كل كبيرة وصغيرة، ولمساعدة
فى كل شىء، بدءاً من التنظيف .. مروراً بإعداد الطعام
والمشروبات والظهى انتهاء بتقديمه إلى الزبائن .. ومرّت
أسابيع على هذا المنوال ..

كم واجهته إحباطات .. أيام مرّت دون عمل .. أو فشل
فى إعداد طعام، أو فساد؛ لكنه بدأ يجنى ثمار تعبهِ، وبدأ
العمل يستقر ..

كان يعلم بوجود أيام كساد لا بد أن تمر عليه، كما توجد
أيام رواج، واستعد لتلك أكثر من هذه .. وقرّر التوكل على
الله، وشراء الكافيتريا .. وتمّ له ما أراد ..

كان ما حدث أكبر بكثير من الكلمات التى اختصر بها بضعة
شهور من العمل الشاق المتواصل، لكن .. لم يكن لديه أفضل
من ذلك؛ ليصف جهده الذى بذله من أجل (ونام)، قبل أن
يكون من أجله ..

كانت حياتهم المشتركة وسعادتهما وبيتهما نصب عينية
فى كل لحظة .. حاول أن يشرح لها هذا، وهو يعلم أنها كاتب
متأكدة من ذلك، وتشعر به وقتها على الأقل ..

أحاديثهما على الهاتف والرسائل التى تبادلها قصت
عليها مقدار جهده، وقصّت عليه مقدار تقديرها هذا الجهد ..

استقر العمل، ولم يعد يحتاجه كالسابق .. وأصبح هو
أكثر ثقة فى العاملين معه، وتفهموا أسلوبه فى العمل ..

وبدأ يشعر بالوحشة وثقل الوحدة ..

بل والغربة، برغم أنه فى بلده ..

شعور قاس .. آلمه .. خنقه .. أضعفه ..

لم يكن له أصدقاء فى الغربة، والأهم لم تكن (ونام) هنا معه ..

شعر أنه يحتاج لشخص معه يحدثه .. لم تستطع (ونام)
القدوم لزيارته، عملها، أسرتها، واعتبارات كثيرة ..
حالت دون حضورها ..

والمكالمات - مهما طالت بينهما - قصيرة، لا تكفيه،
ولا تشبعه ..

أراد رؤيتها، ليس فى صورة صغيرة أو فى الخيال، بل
فى الواقع ..

أراد النظر إلى عيناها وهو يكلمها، ويشعر بتجاوبها مع
كلماته، ووقع كل كلمة عليها .. شعر بحاجة ملحة إليها ..

كان ينظر فى ساعته التى تحيط معصمه باستمرار هدية
(ونام) إليه ويتذكر أوقاتها معاً، فتزداد وحشته، وشعوره
بافتقارها ووحدته بدونها ..

كفت هذه الساعة فيما سبق تحسب مواعيد لفتنهما ، ولكنها
الآن تحسب ساعات بعادهما ، ومعاناة كل منهما من البعد
والغربة .

المجهود البدنى والعصبى الذى كان يينله فى العمل ، ويشغله
عن أشياء كثيرة أصبح أقل ، ولم يعد يستنفد طاقته ويرسله
للنوم سريعاً ..

وبرغم أنه كان ينام ساعات قليلة أصلاً .. إلا أنه
أصبح أرقاً .. أصبح لا ينام تقريباً ، وزاد هذا من عذابه .
طال نهاره عليه ، وكذا طال ليله .

أنهى (يوسف) حديثه ، ونظر إلى (ولام) يستطلع انطباعها
عما قاله فى قلبه ، لكنها لم تظهر أى رد فعل ..

أراد تعاطفها ، ولكنه لم يكن ليحصل عليه .. الآن ..

فى الحقيقة هى تذكر هذه الأيام جيداً ، وقتها شعرت بالتعاطف
معه ، بل وبلوعة عليه .. شعرت بالألم لأنه بعيد عنها
لاستطيع رؤيته ، والتخفيف عنه ، وهى تعلم أنه يكدر ، ويتعب
من أجلها ..

***** ٤ *****

بعدها سخرت من سذاجتها .. لم تعد لتغير مشاعرها
بهذه السرعة .

ساد الصمت بينهما ..

نظر (يوسف) فى ساعته ، ظن أن نصف ساعة مرت منذ
جنس ؛ ليفاجأ بأن أربع ساعات طويلة مرت وهو لم يقل شيئاً
بعد .. كان الوقت قد تأخر ، وعلم أن عليه الانصراف ، فقال :

- سأنصرف الآن .. وأتى غداً فى نفس الميعاد .

أخذ كلامه صيغة تقرير أمر واقع ، ثم عاد واستدرك ..
إذ لم يكن الأمر بيده :

- إذا سمحت .

أومأت برأسها وقامت بهدوء ترافقه حتى باب الخروج ، دون
أن تنطق بكلمة واحدة ، فودّعها قائلاً :

- إلى اللقاء .

ودّعها وهو مشتت التفكير .. لا يعرف إن كان هناك جدوى
من حكايته ، أم لا ..

شعر أنه فشل فى إيصال أحاسيسه لها ..

تمنى أن يكون أفضل فى المرأة القادمة ، وعزاؤه أنه سيرأها
مرة أخرى .

***** ٤١ *****

أما (ونام) على الجانب الآخر، فقد تجنّبت الحديث مع
أما وأبيها .. ماذا ستقول لهما ؟

تعرف أن أملاً يحدوهما لتعود مرةً أخرى لـ (يوسف)
أو على الأقل لطبيعتها .. لم يكن لديها ما تغذى به هذا الأمل .

لقد حاولا الحديث معها من قبل ؛ لكنها لم تستجب لأى
محاولات منهما أو من أشقاتها أو صديقاتها ..

راقباها تنهار ، وراقباها تفيق من انهيارها ، وتعاود
الوقوف على قدميها .. قدما لها كل الدعم المعنوى
الممكن .. وتركاها الآن تعود فتخوض التجربة ، لم تكن
صغيرة ، وكانا على ثقة بأنها تعرف ما تفعل .

ويا لسخرية القدر .. لم تكن (ونام) على أدنى قدر من
الثقة فى نفسها ..

ماذا تريد أن تسمع .. ماذا تتوقع منه ؟

ما الذى تريد منه أن يقوله ؟

ما قاله حتى الآن يرضيها ولكنه مجرد مقدمة ، تبرير لما
سيأتى بعده ، وهى تعرف جيّداً ماذا أتى بعد .. وتعرف أنها
ستسمعه غداً .. ولم تعرف كيف تنتظر الغد ..

***** ٤٢ *****

إن أرادت انتظاره فعلاً .. كيف تحتمل اقترابه ؟!

منعها الأرق من النوم .. ظلت طوال الليل قلقة تفكر فى
(يوسف) وفى كلامه معها .. فى شكله .. ملامحه .. جلسته
أمامها ..

وفى اللحظات القليلة التى نامت فيها أحاطتها كوابيس
وخيالات لأشياء فظيعة مرعبة .

استيقظت (ونام) فى الصباح من نوم مضطرب لمدة ساعة
أو أقل وهى فى حالة سيئة .. ولم تذهب إلى العمل .

حاولت تهدئة نفسها أو النوم دون جدوى ، وعندما انتصف
النهار ، شعرت أنها لم تعد تحتمل ، أخذت الهاتف للتصل به ..
كان عليها أن تفعل .. أو لم يكن .. لم تعد متأكدة من شيء .

كانت تعلم أن تأجيل سماعها للحقيقة لن يغيّر مما حدث
شيئاً ، بل قد يزيد عذابها ، ولكنها لم تقو على هذا .. شعرت
أنها لن تستطيع مواجهته اليوم ، وهو يعترف بخيائته لها ..

أرادت تأجيل سماعها لهذه الكلمات ولو ليوم واحد ، لم
تكن لتعود فى قرارها بسماعه .. أم أنها ستفعل ؟؟

***** ٤٣ *****

أدارت أصابعها رقم الهاتف في يسر ، دون أن تنتبه إلى أنها
لم تنسه ، برغم أنها لم تطلبه من مدة طويلة .. لم تعلم هل هو
موجود في منزل والديه أم لا .. أو ماذا ستقول لمن يرد عليها ..
لم تترك هل هو حظ حسن أم سيئ ، كون (يوسف) هو الذى
ردَّ عليها ..

جفأً حلقها عند سماع صوته ، ولم ترد على الفور ..
أخذت لحظة لتستجمع أفكارها .. وكان عليها قول شيء ردًا
على سؤاله «من يتحدث» ..

- أنا ..

وعلى الفور ردَّ بصوت ذاهل :

- (ونام) !!؟

هل اندهش لأنها اتصلت ، أم تخوَّف من أن تكون قد
تراجعت عن قرارها ، وفضلت فى النهاية ألا تسمع شيئاً ..
هوئى قلبه فى صدره .

قالت فى وهن :

- أنا ، لست بخير ..

فسألها فى لهفة وقلق .

***** ٤٤ *****

- ماذا بك ؟؟

- متعبة قليلاً .

- هل ذهبت للطبيب ؟

- لاشيء جدِّى .. فقط أريد أن أرتاح اليوم .

شعر بالذنب ، هو السبب فيما هى فيه الآن .. بضغطة
عليها أكثر من اللازم ..

فكر .. ربما هو يطلب منها أكثر مما تستطيع تحمُّله ..

أكثر مما تستطيع أى امرأة تحمله !

بخاصة وهو يعلم أنها مرضت سابقاً بسببه ولم يرد أن
يحدث هذا مرَّة ثانية ، فقال :

- سلِّمك الله .

- نؤجل ميعادنا ؟

- كما تحبين .

لم يطلب منها تحديد ميعاد آخر .. فكر .. ربما عليه ترك
الأمر عند هذا الحد ، ويتركها تسير فى حياتها ..

لم يقل أى شيء ..

***** ٤٥ *****

أحس بالوهن الذى ملأ صوتها يسرى فى جسده ، وظلت
هى صامتة على الطرف الآخر دون أن يستعجلها ..

تكلمت فى النهاية :

- لنكمل غذا ..

كاد يطلب منها نسيان الأمر برمته ، لكنه أحجم وأنهى
المحادثة بقوله :

- مع السلامة .. وألف لابس عليك .

- مع السلامة .

أغلق السماعة بسرعة قبل أن يقول شيئاً آخر .. أراد أن
يصرخ فيها : أحبك ..

أحبك .. ولا أريد لك التآلم للحظة بعد الآن ، ولو من أجل
أن نعود لبعضنا .. لكن الشجاعة لم تواته ..

شعر أنه أكثر أنانية من ذلك .. إنه يريد حبها ..

يريدها أن تعود له كما عاد هو ..

يريدها أن تنظر فى عينيه ، وتبتسم تلك البسمة الصافية
التي طالما اختصته بها .. تلك البسمة التي كانت تملأ
شفتيها .. عينيها ، وجهها .. والدنيا من حولها .. من حوله .

أراد أن يصرخ فيها : « أحبك » ..

***** ٤٦ *****

« اتس ما مضى دون أن أحكيه فيؤلمك » .

لكنه لم يستطع أن يقول لها أى شيء ، مدركاً وهن
العلاقة بينهما الآن ..

وكأنه يمشى على خيط عنكبوت .. أى حركة خاطئة أو
مفاجأة تمرقه .

ومع أن الغد بدا بعيداً ..

بعيداً جداً ..

إلا أن بعده يهون .. مادام يحمل بعض الأمل .



***** ٤٧ *****

٣- محاولة الهروب ..

عادت إلى عملها في اليوم التالي مباشرة .. ذهبت مبكرًا عن الميعاد المعتاد .. لن تأخذ إجازة تلو الإجازة ، كما فعلت من قبل .. ولن تستغل كرم مديرها .. وصبرهم عليها أكثر من ذلك .. عملها هو الذي انتشلها من الضياع المرة السابقة ، وساعدها في الحفاظ على سلامة عقلها .

لماذا تركت نفسها للدخول في التجربة مرة أخرى !!!

لماذا وضعت نفسها في أتون التفكير مرة أخرى !!!

حضر (عمرو) ، زميلها بعد وقت .. نظرت إليه ، كان أول من طلب منها الزواج بعد انفصالها عن (يوسف) بمدة كافية - لو أنه هناك بالفعل مدة كافية - ولكنها رفضت ليس على الفور كما أرادت أن تفعل في البداية ، بل أعطت نفسها فرصة ، أرغمت نفسها على الموافقة عليه مبدئيًا ، فلم يكن لديها عذر لترفض .. كل شيء فيه جيد ومقبول .. تدينه .. أخلاقه .. إمكانياته .. كل شيء ..

لكنها لم تستطع الاستمرار .

لماذا ؟

هل لأنها فقدت الثقة في كل الناس .. أو ربما في حكمها هي على الأشخاص ..

أم لأنها كانت ومازلت لم تبرأ من حبها لـ (يوسف) ..

(يوسف) .. رنَّ اسمه في عقلها .. لماذا فعل ما فعله ؟

لماذا عقدَ حياتهما ؟

ربما لو لم تكن ثققتها به مطلقة .. لو لم تكن تحبه بهذه القوة ؟

ربما وقتها لم تكن الصدمة للترزلهما .. وتهدمها كما فعلت .

لكنه عاد ..

عاد لها بملء إرادته ..

مرة واثنين وخمسة ..

يسألها أن تقبل به مرة أخرى ..

أن تسامحه ..

وماذا تعنى عودته ؟ إن الخطأ خطاه على أى حال ..

وهل لمجرد أنه طلب .. عليها الاستجابة ؟؟

أم لأنها تحبه وتعرف أنه يحبها ..

الحب الأعمى ، تتركه ليتحكم فى حياته .. أم العقل ؟؟

لماذا رفضت (عمرو) حقيقة .. ألم يكن لأنها لم تتخيل
نفسها زوجة لآخر غير (يوسف) .. بل لم تتخيل مجرد أن
تلبس دبلة خطوية تحمل اسمًا غير اسمه ، وتربطها بغيره .

طردت الأفكار من عقلها ، وركزت فى عملها فهى على
كل الأحوال لم تسمعه بعد لتقرر ..

ظلت تعمل حتى بعد وقت الانصراف .. لم يكن هناك
سوى العمال عندما غادرت العمل ، عادت إلى المنزل سعيدة
بإحساس التعب من يوم عمل طويل ..

أعادها إلى إحساسها بذاتها ووجودها .. قيمتها وقوتها ..

وعندما استيقظت بعد ساعة القيلولة ، شعرت أنها قادرة
على مواجهة (يوسف) وما سيقوم بحكايته أيًا كان .. على
الأقل هذا ما اعتقدته هى .

جلس (يوسف) أمام (ونام) ، وهى المجنى عليه ، والقاضى
جلس (على كرسى الاعتراف) ففكر متألماً ، وهو حاول أن
يجد كلمات يبدأ بها من جديد حكايته وأمامه وجه (ونام)
الشاحب .. كان استقبال والدتها الفاتر أحد أسباب توتره ، لم
يرى الدفء المعهود فى عينيها وكان هناك جفوة شديدة
بينهما ، مع أن علاقته بها كانت أفضل ما يمكن .. علاقة
طيبة ، وطيدة .

فكر (يوسف) فيما سيخبر به (ونام) ، هو يعرفه جيدًا ،
وإن لم يعرف ماذا سيكون تأثيره عليها .. أسند ظهره إلى
الكرسى ، وأرجع رأسه إلى السوراء ، وخفض بصره وشرع
يحكى من حيث توقف ، وهو يحاول تناسى وجود (ونام)
ليستطيع الحديث .

كان يذكر هذه الليلة بالذات ، برغم أنه من المفترض
الأتختلف عن أى ليلة أخرى مرّت عليه وهو مسهد أرق ..
خرج ليتمشى فى الليل الساهر حتى ساعات الصباح الأولى ، فى
الفردقة الجميلة التى يقصدها الناس للاستمتاع من كافة
أرجاء المعمورة .. بينما هو لا يستطيع إلا أن يفكر فى طريقة
تخلصه من ضيقه بالمكان ، الذى حال دون استمتاعه بالهواء
العليل ، وظلمة الليل الوادعة التى لا يخرقها سوى الأنصواء
الخافتة للمحال والكافيتريات .. والهمسات الخافتة التى يتبادلها
المارة ، فتكسر الصمت وتحيله إلى أنس حميم .

جلس فى إحدى الكافيتريات المنتشرة على شاطئ البحر ..
نظر إلى البحر وتأمل حركة أمواجه الهادئة ، وهى تتوالى
وتلمس رمال الشاطئ ، وتعود لتتسحب فى روعة .. ألوان
البحر الغامقة الغامضة .. اتساعه .. معرفته بعمقه والحياة
التي يخفيها .. تأمل كل هذا على مهل .

كانت أضواء الشموع الموضوعة فى زجاجات حول المكان
ناعمة ، لدرجة أنها أخذت منه توتره ، وأبلكته إحساساً بالاسترخاء
، وجعلت عقله يهدأ ويترك أفكاره المتصارعة للحظة ..

فى نفس اللحظة التى رأى فيها (كارين) ، كانت جالسة
وحدها تطالع كتاباً ، ويجوارها شاب وفتاه أجنبيان يلعبان
الطاولة فى استرخاء ، واضح أنه من تأثير صخب يوم
طويل .

لم يكن فيها شيء مميز ..

كان فى العادة يرى أغلب الأجانب متشابهين ..

مجرد عملاء .. زبائن وحسب .. بخاصة خلال تواجده فى
الفرقة هذه المرة .

فى المرات السابقة التى زار فيها الفرقة ، بهر بالأجانب الشاب
العادى ، الذى يلف العالم بحقيبة صغيرة على كتفه ، ومبلغ

نقدي بسيط ، معتمداً على نفسه ، فتى كان أو فتاة ، وعلى
استعداد لأن يعمل أى عمل بسيط ، أو يخيم فى العراء ، من
أجل أن يتعرف على العالم من حوله ، ويثرى خبراته ..

أخذ عناوين بعضهم ، ودأب على مراسلتهم ، ثم توقف بعد
ذلك عن المراسلة وعن الإتيهار .. وبدأت نظراته تختلف
لكثير من الأشياء ، فكثير من شبابنا يكافح ، لا ليتزده ، بل
ليعيش .. يساعد نفسه ويساعد أهله .

صدمه كذلك فئة من الشباب ، رأى ما يفعلون فى فترة
الصيف ، من محاولة التعرف على الأجانب ، لإقامة
علاقات غير مشروعة .. أو محاولة الزواج منهم على أمل
السفر للخارج .. وهو لا ينسى أبداً (طارق) زميله بوقع
منطقة الفظيع فى أذنيه :

« ولو لم أسافر لبلدها لا يهم ..

يكفى أنه زواج مجانى ..

لن أنفع أبيض ولا أسود .. ولن تقول لك مهر أو شبكة ..

إن أمامى عشرين سنة أخرى ، حتى أستطيع الزواج من
مصرية .

ولا أنوى الرهينة خلال هذه المدة » .

يومها لم يجد (يوسف) ردًا عليه برغم عدم موافقته
(طارق) في أى مما قاله ، ولكنه لو سمع هذا الكلام من
أحد الشباب الآن ، فإن لديه أكثر من رد ، ولن تكون
محاضرة فارغة .. بل كلام على أساس مقنع ..

عاد (يوسف) يذكر (كارين) .. ماذا جذبته فيها ؟

وهل اتجذب لها من الأصل ؟

كل ما حدث وقتها أنه لمحها وهو يستعرض المكان من
حواله .. بعدها أحس أن أحدًا يتفحصه ، حاول التأكيد من صدق
إحساسه ، فوجدها تنظر إليه ، لم تخفض عينها أو تخجل ،
ولكنها أومأت له برأسها تحييه ..

لم .. لا يعرف .. لكنه ردَّ تحيتها بنفس الطريقة وفى تلقائية .

لم تكن تجلس بعيدًا عنه ، لكنه كان منفصل عن جميع
الموجودين باختياره ، أهدأ ركن فى أقصى الكافيتريا ،
جلس على المساند المنتشرة على الأرض ، وفرد ساقيه
أمامه ، وأسند ظهره على جذع من جذوع النخيل المرصوفة
لتحيط المكان .. كان التصميم جميلًا ، يوفر الراحة والبساطة
أما السقف ، فيكون من جريد نخل معرّش على الطريقة
البدوية ..

دخلت مجموعة من الساتحين ، وبدأ أنهم يعرفون الفتاة
والفتى لاعبي الطاولة ، فجلسوا من حولهم ، وأصبح الجزء
الذى تجلس فيه (كارين) مزحّم ، وقتها لم يكن يعرف
اسمها بعد .. ولكنه عرفه بعد لحظات قليلة ، عندما
انتقلت من مكاتها لتجلس بجواره فى هدوء ، وهى تحمل
معهها الكتاب الذى تقرأ فيه ، فاجأته بقولها :

- أهلاً .. أنا (كارين) .

قالتها بالإنجليزية ، بصوت خافت ، وبلا ابتسامة ، وردَّ
عليها (يوسف) بنفس الطريقة ، ومن باب اللياقة :

- أهلاً .. أنا (يوسف) .

لم يحاول تجاذب الحديث معها ، برغم وحدته القاتلة ،
لأنه لم يرغب فى الحديث مع أى شخص وحسب وإنما أعياه
إيجاد هذا الشخص .. بل رغب فى الحديث مع (ونام) ،
(ونام) بالذات .

تسلل إلى أذنه صوتها مرّة أخرى :

- إجازة ؟!

هذه المرّة نظر إلى ملامحها ، بدت فتاة صغيرة ، قدّر
عمرها

بثمانى عشرة سنة أو أقل .. فى الحقيقة كانت أكبر من ذلك
ببضع سنوات .. ولم يدر ما جنسيتها ، فلم تكن هناك لكنة
محددة فى صوتها - مع قلة الكلمات التى قالتها - تساعده
على تحديد هويتها ، لم يستطع تجاهلها ، فقد كانت تتحدث
بأدب ، فأجاب :

- لا .. بل عمل .

ردت باقتضاب :

- وأين تعمل ؟

ذكر لها اسم الكافيتريا .. فقالت :

- هل يريدون أحدًا للعمل هناك ؟

لم يكن متأكدًا من رغبته فى تشغيل شخص إضافى ، ولم
يعرف هل هى تحتاج للعمل أم ترغب فى التسلية وشغل وقت
الفراغ . نظر لها يحاول تقييمها ، بدءًا من الفاتلة القطنية
ذات الحمالات ، والشورت الذى لا يكاد يصل إلى ركبتيها ..
مرورًا بجسدها المائل للامتلاء ، والنمش القليل المتناثر على
وجنتيها ، بجوار أنفها المتناغم مع اللون البرونزى ، الذى
اكتسبه وجهها من كثرة التعرض للشمس هنا بلاشك ..

وبدا شعرها الأصفر القصير مقصف الأطراف على
كتفيها ، وقدّر أن هذا من تأثير ملوحة المياه .

لم يستطع تحديد جديتها فى طلب العمل ، أو صلاحيتها
له ، كان الكثيرون من أصحاب المنشآت السياحية يفضلون
تشغيل الأجانب لتمكنهم من اللغة ، وشعور العميل الأجنبى
بسهولة أكبر فى التعامل معهم ، لكنه شخصيًا يفضل تشغيل
المصريين ، قال لها :

- مرّى علىّ فى الكافيتريا وسنرى .

قام ليعود إلى منزله ، فقد فقدت الجلسة سحرها :

- وداعًا (كاترين) .

- (كارين)

- ماذا

- اسمى (كارين) وليس (كاترين) .

ابتسم لها دون اهتمام ، وقال :

- وداعًا .

- حتى نلتقى يا (يوسف) .

فى الصباح كان قد نسى كل شىء عنها ، وحتى عندما عاد وقبلها عصراً ، لم يتذكر ما إذا كانت ترتدى شالاً قطنياً ذا طباعة بدوية مميزة ، منتشرة على الشواطئ تسمى (تليداى) ، ملفوف حول خصرها كجيب أو منزر فوق رداء سباحة من قطعة واحدة .. كانت قد سألت عنه بالاسم فأرشدوها عن مكانه ، نظراً إليها دون أن يعرف سبب سؤالها عنه .. كان شكلها غير مميز ، فغالبية الأجنيبات وحتى المصريات ، يمشين مركبات شورت قصير أو شال قطنى فوق رداء السباحة المكوّن من قطعة واحدة أو اثنتين ، أو حتى مستقيمت على رمال الشاطئ بلربية السباحة .

ذكرته هى بطلبها للعمل ..

ربما كان إعطاؤه لها فرصة عمل من البداية كان خطأ هذا ما أفكر فيه الآن ، وهو يتذكر أن أبسط شىء هو كون أى شاب مصرى أولى بهذه الفرصة ، عاد يتذكر عدم جدوى لوم نفسه ، فقد حصلت على العمل ، وهذا هو الواقع .

تبادل (يوسف) ، و (كارين) أحاديث طويلة عن الغردقة ، وجمال جوها وشواطئها .. كان الشتاء فى أوجه ، ومع ذلك كانت الغردقة غارقة فى جو ربيعى ساحر ، منعش ممتع .

سألته (كارين) بدهشة حقيقية فى ثالث يوم عمل لها معه :

***** ٥٨ *****

- وكيف حدث أنك لم تغطس حتى الآن ؟
- لم أفكر فى الأمر .. أنا هنا للعمل .

نظرت إليه بعينين متسعيتين ؛ لعدم تصديقها لإمكانية وجود مصرى فى الغردقة طوال هذا الوقت ، دون الاستمتاع بالغطس .

فعاد يرد مبتسماً من دهشتها :

- أنا لا أكاد أنزل البحر .

- مستحيل .

- لا شىء مستحيل .. بدليل أنه حدث .

لقد سمعت قصصاً عن حدائق الشعاب المرجانية تحت الماء ، والأسماك ، وأسراب الأسماك الملونة الرائعة ، ورأيت الصور وجننت .. أنا أكاد أفقد عقلى هنا ، لأنى لم أبدأ فى الغطس ، وأنت تتكلم بهذه البساطة :

- عندما أنزل البحر أستطيع مشاهدة الكثير بنظرة البحر ، وقسبة التنفس .

- لا .. هذا شىء آخر .. لقد فعلت هذا ؛ فزادنى شوقاً للغطس ، حتى أدخل هذا العالم السحري ، أن أجد الأسماك والشعاب من حولى .

- إن أردت الغطس ، أعرف نادى غطس جيد جداً .

***** ٥٩ *****

أخذها (يوسف) إلى نادى الغطس .. فى الطريق منّت يدها
تتلبّط نراعه فأبعدها بلطف .. عرقها (يوسف) على صديقه
(هشام) الذى يعمل بنادى الغطس ؛ وتم الاتفاق على
التفاصيل ، أشار له (هشام) يستوقفه قبل أن ينصرف :
- عرضى ما زال قائماً .

عرف (يوسف) ما يعنيه (هشام) بذلك ، فقد عرض عليه
أخذ دروس أكثر من مرّة ، لكنه كان يرفض دائماً :
- لا أريد أن أكلفك .

- أى تكلفة تلك .. أولاً : أنت صديق .. ثانياً : لقد أحضرت
الكثير من .. العملاء .. اعتبرها عمولة .. اتركنا يا أخى
نعمل واجباً معك ، ولو لمرة واحدة .
- سأفكر .

لوّح له بيده مبتسماً ، وهو ينصرف مع (كارين) ،
التي سألتها عن موضوع حديثهما باللغة العربية .. وحكى
لها ، فحاولت إقناعه بالاشتراك ليكونا سوياً .
- ليس لى وقت .

كذب عليها ، وهو أدرى الناس بأن لديه كل الوقت الذى
فى العالم دون شىء يفعله ، وقال :
- ليس إلى هذه الدرجة .

- الدروس تعنى التزام ، وأنا لا أستطيع الارتباط بشىء
يبعدنى عن عملى .

- حسناً ، ولكنى لن أياس .. على فكرة سأذهب بعد غد فى
رحلة سفارى .. لا تقل لى أنك لم تذهب فى رحلة سفارى
أيضاً .

- فى الحقيقة ذهبت مرّة من حوالى ثلاث سنوات .
- أنت معجزة حقيقية .. بما أنك أرشدتني لنادى الغطس ،
اتركنى أدعوك إلى رحلة سفارى .
نظرت إليه فى رجاء ، وقال :
- لا أظن ..

- طالعنى لقد ذهبت مرّة فى بداية حضورى ، وأنا متشوقة
لتكرار التجربة ، ثم إنها دعوة مجانية .
- إذا كان لابد .. فكل واحد على نفقته .
ابتسمت فى سعادة وصفقت كالأطفال ، وقالت :
- معنى هذا أنك وافقت .

هل وافق (يوسف) فعلاً ، لا يعلم ، لكنّه وجد نفسه بعد يومين وسط الجبال الساحرة فى رحلة استمرّت ثلاثة أيام متتالية .

امتلأت بالنشاط ، ومناظر الطبيعة البكر الرائعة ، والنوم فى العراء ..

أيام امتلأت بالمرح ، والضحكات ، والمتعة .. وتساءل :

- منذ متى وهو لم يمرح هكذا ؟!

فكّر فى أنه لم يعد يذكر .. بل فى الحقيقة كان يذكر جيّداً .. آخر مرّة كانت مع (ونام) .. شعر بالذنب ، وأحس أن (كارين) خلال أسبوع واحد بدأت تتغلغل فى حياته ، وتأخذ مكاناً أكثر من حقها بكثير .. شعر أنها تتسلل إلى حياته بالتدريج .. إتّها تحاول شغل فراغه ، وملئه بحديثها وأفكارها وتحررها الذى لم يعتد عليه .. لم يكن يشعر نحوها بشيء ، لكن إحساساً فظيماً بالخطر تملكه .

استقام (يوسف) فى جلسته ، وفتح عينيه ، ونظر إلى (ونام) فوجد وجهها ممتعاً .. كانت أنفاسه تتلاحق ، وشعر بأنه بذل مجهوداً شاقاً لتذكره هذه الأيام ، فقال :

***** ٦٢ *****

- نعم .. خفت ، وفزعت ، وجئت إليك هنا فى هذا المكان .. أعطيت لنفسى إجازة .. وجئت إليك لتساندنى .. طلبت منك أن نتزوج فى الغدقة مؤقتاً .. فالمشروع ناجح والمسألة وقت ، ونستطيع شراء شقة أخرى وتأثيثها .. فماذا كان ردك ؟!

كانت تذكر هذا الموقف جيّداً ، لكنها وقتها ظنّته يتدلل عليها .. إن عزمته قد فترت قليلاً وصبره نفذ .. ويحتاج لقليل من التشجيع ، ورفضت الزواج وقتها .. نعم رفضت وهى لا تندم على ذلك .. فيماذا يتهمها ؟ فقالت :

- كان اختيارك من البداية أن نصبر ونتحمل .. وتأتى بعد تسعة أو عشرة أشهر من كلامك فقط لتغير كل شيء .. أنت ، وأنت وحدك ، وضعت خطة الثلاث أو الأربع سنوات .

- أعلم ، ولكنى لم أستطع .. ربما لم أكن أدرك وقتها الحالة التى وصلت إليها أو خطورتها .. لم أتخيل إلى أين يمكن أن تؤدّى بى .. لكنى لجأت إليك .

- هل كان ما تطلبه منطقى ؟!

***** ٦٣ *****

قُطِبَتْ حاجبها مندهشة من كلامه ، فقال مندهشاً :

- أوجب أن يكون كل شيء منطقياً ! ألا يمكن أن نعدل الخطط التي وضعناها لأنفسنا .. كنت أحتاجك إلى جواري .. اشتقت إليك واحتجتك بجواري .. تحميني من نفسي .. من ضعفى .

بدأت الدموع تلمع فى عينيه ، واختنق ، وهو يقول الكلمات الأخيرة .. شعرت بضيق فى صدرها ، وألم قوى .. كادت أن تقبل كلامه ، ولكنها انتزعت نفسها من الإحساس القوى به ، وبما عاناه وقتها ، وما يعانيه الآن ، فقالت :

- اجعل الذنب ذنبى .. هياً .. اقلب الأمور .. إذن فأنا السبب .

- أنا لا أقول ذلك .. لكنك رفضتني .

نظرت إليه فى استنكار .. فهو يعرف ، ومتأكد أنها لم ترفضه هو .. فقط رفضت اقتراحه المتسرع .. فأكمل كلامه ، قائلاً :

- ربما كان معك حق .. بل إن معك حقاً فعلاً بخاصة وأنت لم تدركى ما كنت فيه .. لكن على الأقل انظرى للأمور من وجهة النظر تلك .. بأن الظروف تجمعت ضدى ، لم يكن بإمكانى البقاء هنا ، وترك الكافيتريا .. نعم .. هى لا تحتاجنى على مدار الساعة ، لكنها تحتاجنى لمتابعتها باستمرار .

أطرق قليلاً ، ثم أكمل متنهّداً .

- لم أستطع الزواج بك ، ولا إحضارك للغرفة ، ولو فى نزهة لبضع أسابيع ، كل هذا كان مرفوضاً منك .. ومن العائلة ، ومن التقاليد .. وعلى الجانب الآخر كان هناك فى الغرفة مع (كارين) ، كل شيء ممكن وأكثر .. وبلا حساب .. لو أردت .. لو أشرت .

قامت (ونام) وتركته ..

خرجت من الصالون ، ودخلت حجرتها على الفور دون أن تتطرق أى كلمة ، أو تسمح له بقول كلمة إضافية .

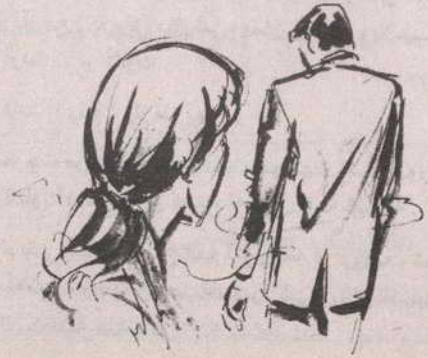
لم يكن بإمكانها سماع كلمة أخرى منه أو رؤيته ، شعرت أنه أهانها ، جعلها رخيصة مجرد شيء يمكن استبداله ، أو الاستعاضة عنه بآخر .

مجرد شيء فى حياته ..

جلس (يوسف) قليلاً ليتمالك نفسه ، ثم قام وانصرف ..
كان قاسياً عليها ، وهو يعلم ذلك ..

كل ما تمناه أن تسمح له بأن يأتي ولو مرة واحدة ..
مرة أخرى .. هذا كل ما يطلبه .. لو أن له حقاً في طلب أى
شئ بالمرة .

* * *



٤- الهذيان ..

تسأل (يوسف) ماذا يفعل ؟ كان ميعاد ذهابه إليها
يقترّب .. هل يذهب على الفور أم يتصل يسألها ؟ هل
يضعها أمام الأمر الواقع فتجده أمامها ! وماذا لو صرفته ؟
أو اعتبرته يفرض نفسه عليها ، ورفضت سماعه تماماً ؟

فى الحقيقة صممت (ونام) من بداية قبولها لسماعه أن
تسمعه للنهائية ، لآخر كلمة لديه يقولها ، طالما قبلت طلبه
وأعطته كلمتها .. كان هذا قرارها وقد احترمه والدها
ووالدتها ، كما احترما رفضها لسماعه أول الأمر بخاصة مع
انهيارها وقتها .. لكن (ونام) اكتشفت أنها لم تعد على
تصميمها بسماعه والحفاظ على كلمتها معه .. ليس من
حقه أى شئ .. أى شئ .. ردت فى نفسها بألم ،
ومازالت آخر كلماته عن (كارين) ترن فى أذنيها ..

عندما أخبرتها أمها أن (يوسف) على الهاتف طلبت منها أن
تخبره بأنها مشغولة الآن ، وستعود الاتصال به فيما بعد ..
ذهبت أمها ، وجلست بجوارها بعد أن نفدت طلبها ، وسألتها :

- ماذا حدث يا بنتي .. هل غيّرت رأيك ؟

- أعتقد أنني لن أحتمل .

- لماذا ؟ (يوسف) برغم كل شيء إنسان طيّب .. يكفي أنه باقى عليك ، ولم يبتس بعد كل هذا الوقت .. أليس هذا دليل كافٍ على حبه ؟

- حبه ؟!

- نعم حبه .. جاء واعتذر مرّة واثنين وثلاثة .. أتاك نادماً ، ماذا تريد أن أكثر من ذلك ؟

- لم أره نادماً بما فيه الكفاية .

- لماذا ؟ إنها مجرد أجنبية ، كما أنه على الأقل تزوجها ..

- ماذا تعنين بأنها أجنبية ألا تحسب الزيجة ؟

- ليس كزواجه من مصرية .. إنها إنسانة غريبة عن مجتمعنا وثقافتينا ، ولا بد أنها قد اجتذبت بطرق ملتوية .

- وماذا لو لم يكن تزوجها ، ويكذب !

- وإن كان .. فما المشكلة ؟

- المشكلة .. أمي .. أنا لا أصدق .. إنها خطيئة .

***** ٦٨ *****

حدثتها أمها بلهجة الرجاء :

- إنه رجل لا شيء يعيبه .

- رجل ؟! أى مسموح له بمعصية الله ؟

- دعنا من هذا الجدل .. لقد تزوجها ، وأنا أصدق .. وأنت أيضاً لو أنصفت .. صدق (يوسف) ، لم يكن يوماً محل شك لأجل .. ولكن هكذا كن لإخلاقه لها فكرت (ونلم) بمرارة ، وقلت :

- خبريني يا أمي .. لو كنت أنا من فعلت هذا .. وتزوجت أجنبياً .. ألم يكن ليحتسب هذا الزواج ؟ أكان (يوسف) سيفكر بهذه الطريقة ؟

قاطعتها أمها ، قائلة :

- معاذ الله .. لا تنطبقها .

- معاذ الله ، ولا أنطقها ؛ لأنى ابنتك أم لأنى فتاة .. أصبح الحلال والحرام مختلفاً عن الصواب والخطأ ، ولكل شيء معياران .. فتاة .. حرام وخطأ ، وشاب .. حرام ولكن ليس خطأ ، فهو رجل .. وتعييدات أخرى كثيرة لا تفهم .

- (ونام) ، حبيبتي .. لقد تزوجها .. وهى مجرد أجنبية ، تزوجها على سنة الله ورسوله ولفترة قصيرة ، ثم أفانق لنفسه ، وطلقها .. واعترف بخطئه ، واعتذر لك بكل شكل ممكن .. هل نقتل من يخطئ .. نقاطعه .. نطرده ليعود إليها .

***** ٦٩ *****

نظرت إليها (ونام) بعينين حائرتين معذبتين .. وكلمة أمها تتردد في عقلها «يعود إليها» .. هل من الممكن حدوث ذلك؟ تساءلت في نفسها .

يعود إليها؟!!

ولم لا ، وقد يتزوج غيرها ..

هل ستتحمل ذلك ؟ هل ستطيقه ؟

عادت أمها تحدثها .

- الشباب عليه ضغوط كثيرة .. وأمامه مغريات أكثر .. لا يعقل أن نذبح كل من يخطئ ، لن يبقى أحد .

- ماذا أفعل ؟

- أنت من قرر سماعه للنهاية .. وإعطائه فرصة ، فلماذا تتراجعين .

كل كلمة يقولها ..

امتلأت عيناها بالدموع وهى تكمل .

- كل كلمة أشعر بها سكين ينغرز في صدري .. لا أطيق سماع اسمها .. أو أى شيء عنها .. لا أريد معرفة كيف قابلها أو لم تزوجها أو إحساسه بها .. لا أريد .

***** ٧٠ *****

- كما تحبين .. لا تسمعيه ، ويكفى هذا .

- لا أستطيع .. حقاً لا أستطيع .. أريد أن أصدق أنه لم يحبها أبداً .. إنه أحبني أنا فقط .. إنها كانت مجرد شيء عابر في حياته ، نزوة ، وانتهت .

فكرت في ألم .. أليس من حقها أن تتمنى لو تكون أول إنسانة في حياته ، كما سيكون هو أول إنسان في حياتها !

قالت الأم ناصحة :

- اسمعيه وأنهى الأمر إذا يا بنتى .. أصلح الله حالكما ، وهداكما .. اجعلى قلبى يهدأ ، ويطمنن عليك .

أحست (ونام) بأنها أثقلت على أمها .. أمها التى تعذبت معها ولها كل الفترة السابقة ، فأحبت أن تريحها ، فقالت :

- حسناً يا أمى ، سأتصل به .

رفع (يوسف) سماعة الهاتف فى لهفة ، وبرغم عدم تأكده من اتصال (ونام) لكن كان كله أمل أن تفعل .. لحظة سمع صوتها أيقن أنها ستسامحه ، وأن المسألة مسألة وقت وحسب .. لكنها ما زالت تحبه ، فقال فى لهفة :

- سأتى حالاً .

***** ٧١ *****

لم يتركها تطلب منه القدوم ، لو لم ترده لما اتصلت .. ففكر
فى ألا يحملها عبء قول الكلمات .. لو استطاع لاتصل
هو ، وهو بالفعل منع يده بصعوبة شديدة عدة مرآت من
الإمساك بالهاتف للاتصال بها ، لعلمه بأن هذا ليس من
حقه .. وعليه أن يصبر ، أسرع (يوسف) إليها .

هذه المرة حملت عينا أمها ابتسامة صغيرة وهى تستقبله ..
دخل إلى الصالون فوجدها تنتظره هناك ، حياها فأومأت له
دون كلام .. فهم رغيته فى استكمال الحكاية على الفور ..
وانقبض قلبه من وجومها .. أحس أنه أغرق فى التفاؤل
عندما اعتقد أنها سامحته .. إذن فلماذا تريد سماعه ؟

أيًا كانت أسبابها ، فقد استحققت فى نظره معرفة كل
شئ ، ويدأ يتذكر ما حدث وهو يحكيه ، متمنيا نسياته
بمجرد الانتهاء من سرده ، والمثل لـ (وئام) ، مع إدراكه
لصعوبة تحقيق هذه الأمنية .

عاد بعد الإجازة أكثر ضعفاً وأكثر رهافة .. إجازة لم
يترك نفسه ليستمتع بها ، نزلها لهدف واحد ، ولما لم
يتحقق ، عاد على الفور ..

***** ٧٢ *****

غلبا رآته (كارين) أول مرة بعد عودته ، جرت نحوه
فرجةً بقدمه محاولة احتضانه ففرد ذراعيه ، وصدها بلطف ،
تاركا مسافة بينه وبينها ، وهو يرحب بها ، فمدت رأسها
وقبلته على خده قبلة بسيطة ، بالكاد مست شفتيها خده ، وهو
يعرف أن الأجانب يتبادلون التحية هكذا ، وكذلك يفعل
الشباب المصرى مع الأجنبية .. لكنه لم يعتد ذلك .. حاول
تجاهل الأمر .. « ليست أكثر من قبلة عادية ، ولاداعى
لتضخيم الأمور » .. قال لنفسه فى ضيق من انفعاله المبالغ
فيه .. ترك الكافيتريا حتى لا يرى (كارين) ، وذهب ليتمشى ..
رأى شابا وفتاه على الشاطئ يتبادلان الحديث فى رومانسية
وهيام ، ويد الشب ملتفتة فى حنان حول كتفى الفتاة وعيناها
متعلقان به ، وكأنه لاشئ آخر فى الدنيا غيرهما ..

لم يكن هذا أيضا مشهدا غير مألوف على شواطئ الغرقة ،
وفى العادة يدير وجهه كلما رأى مشهدا كهذا أو أكثر خصوصية ..

لكنه هذه المرة (تسمر) أمامه .. « كم عمره ؟ » تساعل ..

متى سيستطيع ادخار ثمن الشقة مرة أخرى ؟؟

ومتى سيتزوج ؟؟

أخذته قدماء إلى الكافيتريا مرة أخرى .. تركت (كارين)
ما بيدها على الفور ، واقتربت منه فى هدوء ، قائلة :

- لقد افترقتك .. ألم تفتقدنى ؟

***** ٧٣ *****

كان سؤالها قد ملئ بالمشاعر ، بينما أجاب هو بجفاف
وعدم اهتمام ،
- بالطبع .

- إذن .. فلماذا تركتني سريعا ..

نظر إلى عينيها الممتلئتين اهتماما ، وردّ بنبرة أرق :

- ألم أعد ؟!

أمسكت يده ورفعته ، وهو يراقبها دون اعتراض ، وأخذت كفه
الكبيرة ، وأسندت خدها عليها ، ونظرت في عينيه مباشرة ، وقالت :

- (يوسف) أنا أحبك .

جفّ حلقه .. سحب يده بعيدا عنها ، لم يرد ..

فكر ماذا تريد منه ؟ وإلى أين تريد الوصول بتصريحها هذا ؟

عادت (كارين) تقترب منه ، وسألته :

- ماذا بك ؟

- لا شيء يا (كارين) أنا متعب قليلا .. سأذهب إلى منزلي الآن .

حاولت استبقائه دون جدوى ..

استلقى على سريره يفكر في كلمة الحب التي سمعها من
(كارين) ، ومن قبلها كل الإشارات الواضحة التي أرسلتها
تشعره بمكانته لديها .. وبرغبتها فيه ..

كلمة الحب هذه لم يسمعها من (ونام) أبدا ..

كان من قبل يرى أن الحياء هو الذي يمنعها ، ولكنه في
هذه اللحظة وبعد عولته من القاهرة ، حاملا خيبته في إحضار
(ونام) معه ..

رفضها له .. تساعل : هل (ونام) تحبه فعلا ؟

هل أحبه يوما .. استمرت تحبه .

أيعقل أن تحبه ، وترفض القدوم معه والمعيشة معه ؟

كان غاضبا بدرجة كبيرة ، ومحبطاً لأقصى درجة ،
ويريد أن يفعل شيئا .. أي شيء ..

يبقى الأرض بقدميه حتى تنكسر .. يحطم كل شيء حوله ..

تساعل : لماذا وافقت (ونام) أن يبتعد من البداية ؟ لماذا وافقت
على إقراحه ، وشجعته ، بينما كن الجميع ضده حتى ولده ووالته ..

إذا كنت (ونام) تحبه حقاً ، فلماذا تركته يذهب بهذه البساطة ؟

كن (يوسف) مسترسلاً بأن يلاحظ تفاعل (ونام) بكلامه ..
كان متعمداً ألا ينظر إليها ، لكنها قاطعته بحدّة ، وهي تشعر
أنها لا تستطيع السكوت للحظة أخرى :

***** ٧٥ *****

***** ٧٤ *****

- هذا بالذات ما أخذته ضدى !!!

صممت كئها لا تجد الكلام .. كالت مندهشة .. مذهولة من نظرتة
الملتوية للأمور والمغالطات التي يسردها بكل بساطة ، قللة :

- وقوفى إلى جوارك ، وتفضيل أحلامك على أحلامنا معاً ..
لقد قبلت أن أطيل الانتظار كى لا أشعر أو تشعر أنت أنى
حرمتك من أى فرصة .

أكملت بصوت متهدج :

- لم أكن أريد أن أكون قيذاً عليك بأى صورة .. وأنت
أخذت هذا ضدى ؟!

حاول أن يتكلم .. لكنها قاطعته ، قائلة :

- هل تعرف ماذا قال والدى ووالدى ؟ ماذا قال إخوتى ،
وصديقتى ؟ هل تعرف مقدار المعارضة التي جويبت بها موافقتى
على بيعك للشقة وتأجيل زواجنا إلى أجل غير معلوم ..

نظرت إلى عينيه تواجهه ، وهى تكمل :

- سنوات العمر التي مرّت منذ خطبتنا ، وتلك التي كانت
أمامنا لنقضها سوياً انتظاراً لوقوفك على قدميك ، وإدخارك
للقود .. هل تعرف ثمنها بالنسبة لى ؟ كم عمرى ؟

قال رداً عليها :

- إننا فى مركب واحدة .

- لا .. لم نكن كذلك .. فالسنة من عمر الفتاة تحسب عليها ..

كل من حولى حزننى ، وماذا بعد الانتظار سنة بعد الأخرى .. ثم
إذا حدث انفصال .. لم أكن أسمع لهم .. لم أصدق أننا قد
ننفصل أبداً .. وحدث الانفصال .. لحظتها نظرت للعمر الذى
قضيته معك وفى انتظارك ..

سكنت قليلاً تلتقط أنفاسها قبل أن تكمل :

- ومع ذلك ، لم أتمنّ مثلك لو كنت لم أوافق على بيع الشقة
فقد كشف الكثير .. ها أنت تقول الآن أن هذا دليلك على
أنى لم أحبك .. معك حق أن تتمنى لو كنت أنا أنانية .. كنت
تريد أن أكون أنا الطرف الأتاني ، فهذا أسهل .. أسهل من
أن تظهر أنانيتك الفجة كما حدث .

- لو لم أذهب ربما كنا تزوجنا وأصبح لدينا طفل .

- لم أقترح أنا عليك الذهاب ، لقد كانت فكرتك .. ولو
كنت رفضت .. كنت ستظن لى على أنى حرمتك من تحقيق
أحلامك ، على أى حال إذا كان هذا رأيك ، وأن المسألة كلها
خطئى أنا لأخى وافقتك على مشروعك .. فأسفاً ، وأنا
أعترز لك من كل قلبى .

قالت الكلمات الأخيرة بمرارة .. حزت فى قلبه ، فقال :

- (ونام) ، أنا لا أقصد هذا أو أعرف أن هذا غير حقيقي ،
لكن وقتها ، بخاصة بعد رفضك القدوم معي ، كان هذا
تفكيرى .. الوحدة قاتلة .. الإغراءات من كل جانب
وإحساسى بافتقاده ، والحاجة إليك .

- وأنا هل كنت حجراً لا أشعر .. ألم أكن مثلك أو أكثر ؟!
فقد زاد على هذا كله إحساسى بالقلق عليك .. كيف تعيش ؟
كيف تأكل وتشرب .. هل ترتاح أم تعمل طوال الوقت ..
ابتسمت ساخرة ، وقالت :

- لم أكن أعرف أنك وجدت من تهتم بك وتشغل وقت
فراغك ولا داعى لقلقى .

- أنا لا ألومك على هذا التفكير الآن .. لكن وقتها ، وأنا
هناك .. كنت الهولجس تطاربنى ، ولم تكونى موجودة لأناقشها
معك .. كنت غاضباً ولا أرى .. كأنها هيستريا تليستى .. أذكر
الأيام التى تلت عودتى جيداً كأنها حدثت بالأمس .. كنت
كالطير الذبيح ، أدور ، وهى تلقفتنى ..

لم يجد (يوسف) فى نفسه الجرأة ليحكى لـ (ونام)
عن الأسبوع التالى لرجوعه إلى الفردقة وعن محاصرة
(كارين) له واهتمامها به ، وتقربها منه ، برغم أنه

تساعل فى نفسه : هل كان باستطاعته المقاومة ؟ وأى شاب
هذا الذى لم يكن ليتأثر أو يشعر بالزهو أو الرضى - ولو
قليلاً - من هذه المطاردة اللذيذة .

أى الأيام كان أصعب ؟

عاد (يوسف) بذاكرته إلى دروس الغطس مع (كارين) ..
كان ثالث يوم لهما ، وقد تعلموا المبادئ الأولية ، وعرفا معدات
الغطس ، ونزلا تحت الماء ولكن بالقرب من الشاطئ وعلى
عمق صغير ، ومع ذلك فقد شاهدا أسراباً من السمك الملون
والشعاب المرجانية رائعة الجمال ..

خرج من الماء وأبدل ملابسه وأخبرها أنه مشغول ، عندما
سألته إذا كان سيعود معها إلى الكافيتريا .. لم يتبادل معها
التعليقات ، عما تعلماه وشاهداه كما اعتادا .. كان يحاول
الهروب منها ، ولا يدرى إن كان سيستطيع أم لا ؟
تمشى قليلاً ليتعد عنها .. ثم قرّر السباحة ..

ظل يسبح ويسبح ..

تعب ..

استنفد طاقته ..

غلبه الإرهاق ، خرج ومشى فى هدوء إلى شقته واستلقى
ليناام ..

استيقظ على رنين الهاتف .. لم يعرف كم من الوقت
مرَّ عليه ، فسحب سماعة الهاتف وهو مستلقٍ على السرير .
كانت (كارين) على الطرف الآخر ، وقد ملأ القلق صوتهَا :
- هل أنت بخير ؟

- أجل .

- لماذا لم تأت للغداء ؟

استدار ونظر فى ساعته ، اكتشف أنه لم ينم سوى ساعة
ونصف .. كان الوقت قد تجاوز الساعة السابعة ، أدرك أنه
لم يتناول أى طعام طوال اليوم ، فقالت (كارين) :

- (يوسف) ماذا حدث ؟

- لقد استغرقت فى النوم .

- هل أحضر طعاماً وأتى لناكل سوياً ؟

امتلاً بالقلق ، فقال :

- لا .. لا داعى .. سأتى أنا لتنعشى فى الكافيتريا .

- لا .. بل نذهب لمكان آخر .. مارأيك لو نذهب للديسكو ؟
« أى مكان سيفى بالغرض » .. فُكِّرَ (يوسف) ، وقال :
- لا بأس .. أى شىء .

أغلق التليفون ، كان قد ذهب للديسكو مرةً أو مرتين منذ
أن أتى إلى الغردقة أول مرةً ، كان لديه الفضول ليشاهد كل
شىء .. ويرى كيف يعيش الآخريين ، ولم يعجبه .. فتوقف
عن الذهاب ولم يفكر فى تكرار التجربة .

ارتدى ملايسه ، ومرَّ على الكافيتريا ليجدها فى انتظاره ،
وقد ارتدت فستاناً بسيطاً للسهرة ، لكنه كان تغييراً كبيراً فى
مظهرها .

شبكت أصابعها فى أصابعه ، وابتمست له بحنان ، وهما
يسيران الهوينى فى اتجاه المكان .

كل نغمة فى كل أغنية سمعها دقت رأسه فى عَنَف ..

لم يجد للطعام أى طعم فى فمه ، ورد على كلام (كارين) فى
آلية وانقضاب شديدين ، شعر بالاختناق من الأضواء المترقصة ،
ومن مشهد الشباب الذى يتراقص حولها .. فقال :

- (كارين) .

***** ٨١ *****

***** ٨٠ *****

كانت تتابع النغمات ، وقد حاولت أن تجعله يرقص معها ،
ولكنه رفض ، أشار إليها بأنه سيذهب ، ولكنها قالت :
- انتظر .. سأتى معك .

خرجت معه .. لكنه لم يكن يريد لها معه ، كان يريد الانفراد
بنفسه .

.. أو ربما كان يريد شخصاً إلى جواره ..

ارتبك تفكيره .. وأحس أنه لا يعلم شيئاً .

انتبهت (كارين) لانشغاله .. فنادته :

- جُـو .

لم يرد عليها .. شعر بالتعب .. والإرهاق ..

وعدم الاتزان .. لم يكن لديه استعداد لفعل أى شىء حتى
مجرد الكلام ..

ولم يعجبه أن تناديه (جو) ، دون أن يهتم بإخبارها بذلك .

كانا يسيران بموازة البحر ..

سكون البحر التام إلا من ترقق المياه ، الذى لا يكاد
يلحظ جذب بصره ..

اتحنى عندما لاحظ صخرة صغيرة مقلطحة ، والتقطها ثم قذفها
على سطح الماء بطريقة خاصة ، جعلتها تقفز عدة قفزات
على السطح الهادئ للمياه قبل أن تغوص فى النهاية .

وقعت الساعة من يده ، وهو يفعل ذلك ، ففكر فى ألم
« هدية (ونام) » .. فتحرك دون تكبر ، وقفز على سور
الكورنيش القصير ، لينتقط الساعة قبل أن تسقط ، وتتحطم ..
تعثر وسقط على الجانب الآخر حدث الأمر بسرعة ..

أسرعت (كارين) تخطو فى حذر لتساعده .. كان ممسكاً
بجانب وجهه يشعر بالألم فظيع فى رأسه ، ومرفق يده ،
وأحس بلزوجة الدماء الدافئة تحت أصابعه ، فى اليد الأخرى
كانت الساعة سليمة فى كفه ، وأسعده أنها لم تتحطم ، فسأله :

- هل أنت بخير ؟

سأله (كارين) دون أن تحاول تحريكه ، خوفاً من أن يكون
هناك كسور أو إصابات داخلية ، لكنه حاول القيام على
الفور ، فشعر بدوار وهبوط شديدين ، فأجابها :

- أنا بخير .

لم يكن صوته ثابتاً ، فسأته على القيام وأسندته ، قائلة :

- انتظر ، سأساعدك .. لا تقفز مرةً أخرى .

مشياً قليلاً قبل أن يقابلاً فتحة يخرجان منها ، فقالت :

- سأذهب بك إلى المستشفى .

- لا أريد .

قالتا وهو يهذى ، فقالت له :

- يجب أن تعالج .

- سأعود إلى منزلي .

- هل لديك إسعافات أولية حتى ؟!

- أريد العودة إلى المنزل .

أركت (كارين) عدم اتزانها ، فقررت فعل الصواب من وجهة نظرها .

أخذته إلى حجرتها لتداويه ..

أجلسته على السرير ، ذهبت لتحضر أدوات الإسعافات الأولية .

كان الألم يعصف برأسه ، ويشوش تفكيره ، وشعور بالخدر يملأ جسده ، يكاد يعجزه عن الحركة فاستلقى .

عادت إليه ، وبدأت تظهر الجرح الذي ألمه قليلاً .. ثم جففته قبل أن تدهن القليل من الكريم العلاجي ، والذي شعر به كالثلج

***** ٨٤ *****

على الجرح الساخن ، قبل أن تضع الضمادة ، وتلتصق أطرافها بالبلاستر الطبي ..

تركته وأعدت كل شيء مكانه ، وغسلت يديها ..

أحضرت زجاجة عصير ، وجلست بجواره ، وأسندت رأسه بلطف على ذراعها ، وسقته القليل من العصير .

بدأ يستجمع أفكاره .

قال بصوت واهن .. ضعيف :

- (كارين) .

- نعم .

- هذا ليس منزلي .

- إننا في حجرتي .

بلل شفتيه السفلى الجافة بطرف لسانه ، قبل أن يقول في عدم تركيز :

- هذا خطأ .

- ولم ؟

لم يكن في حالة تسمح بالمجادلة ، أغلق عينيه ، وتنفس في عمق .

***** ٨٥ *****

- (كارين) .. خذيني إلى منزلى .. أرجوك .

لم ترد الإلحاح عليه ، وقالت :

- كما تحب .

ساعدته ليجلس على السرير مرة أخرى ، وجلست إلى جواره ، وأخذت ذراعه ليستند على كتفيها ، وأمسكت بطرف يده ، بينما لفت ذراعها الأخرى وراء ظهره .

نبهته ليساعدها في القيام .

التقطت حقيبتها ، وأغلقت باب الحجرة وراءها دون أن تأبه لإحكام غلقه بالمفتاح .

مشت في خطوات وثيدة وهى تسنده ، وساعدها فى ذلك أن قامتها كانت أكبر قليلاً منه ، وصلا إلى منزله بعد وقت ليس بالقصير .

سألته (كارين) ، وهى تلهث قليلاً :

- أين المفتاح ؟

- معى ..

لم تبدر منه أى حركة لإخراجه ، فقالت :

- أين بالضبط ؟

مذّ يده فى جيبيه الأيمن فلم يجد شيئاً ، وتحسّس جيب - (التى شيرت) - الذى يرتديه ، وعاد يكرر :

- المفتاح معى .

جعلته (كارين) يعتدل ليستند إلى الحائط فى هدوء بجوار الباب ، ومدّت يدها تبحث فى جيبيه الآخر ، ووجدت المفتاح .

أسندته بطرف يدها ، ومدّت يديها الأخرى تفتح الباب فى سهولة .. عادت تسنده لتدخله وقد نسيت المفتاح فى ثقب الباب .

كان المنزل بسيطاً ، مكوناً من صالة واسعة ، وحجرة واحدة ، بالإضافة للحمام والمطبخ الصغيرين .

أدخلته (كارين) إلى حجرة النوم ، وأجلسته على السرير بأكثر هدوء ممكن ..

أغمض عينه على الفور ، وهو يشعر أن السرير يتحرك من تحته ، رفعت قدميه ، وخلعت الصندل الذى كان يرتديه ، لاحظت أن كفه لا يزال ممسكة بالساعة .. حاولت سحبها من كفه ، قاوم قليلاً ، ولكنها استطاعت فك قبضته

ببساطة بسبب التعب الذى غلبه ، وتناولت الساعة ، وألقت
بها بحرص فى درج (الكمودينو) الموجود قرب السرير ،
وأغلقتها فى هدوء ، وقالت :

- (يوسف) أنا خائفة من أن يكون لديك ارتجاج بالمخ .

- ماذا ؟!

لم يكن قد سمع هذا المصطلح بالإنجليزية من قبل ،
فشرحت له حتى فهم ما تعنيه بصعوبة ، ثم قال :

- لا توجد مشكلة .

قالها بلا اهتمام ، لكنها ردت عليه فى لهفة :

- (يوسف) .. إذا كان لديك ارتجاج بالمخ ، يجب أن
تظل مستيقظاً .. لا تنام أرجوك .

- كيف ؟

- افتح عينيك .

كان هذا صعباً ، ومع ذلك حاول .. ولكنها قالت :

- حدثنى .

- عن أى شيء ؟

- عن نفسك .

حرك رأسه ببطء ، ومد لسانه يبلل شفته السفلى .

- لا أعرف .. حدثينى أنت .

شعر بصعوبة فى أن يتحدث أو يركز فى أى شيء ، فقالت :

- وماذا لو نمت وأنا أحدثك ؟

- أنا شبه نائم .

وأدركت (كارين) ذلك ، فقالت :

- يجب أن تظل عيناك مفتوحتين .

ابتسم قليلاً ، وقال :

- قد أنام وعينائى مفتوحتان .

ابتسمت (كارين) .

سكتت قليلاً لتفكر ، ثم قالت :

- انتظر .

اعتدلت فى جلستها لترفع ساقها على السرير ، وتكورها
تحتها ، وتستند بمرفقها على الوسادة .

- سأحدثك في أى شيء تحبه .. هل أحكى لك قصة .

كان يشعر بحرارة تسرى في جسده ، ففكر أول ما فكر فيه :

- حدثيني عن الثلج .

- تريد سماع قصة بيضاء الثلج (سنو وايت) .

- لا حدثيني عن الثلج .

كان هذا آخر شيء يذكره هذه الليلة .



٥- آخر الحكاية ..

استيقظ (يوسف) ليجد (كارين) نائمة إلى جواره ، قام
منتفضاً ، وصرخ مندهشاً :

- (كارين) .

قامت في هدوء ، وابتسمت له ، وقالت :

- أنت بخير .

- ما هذا الذى فعلتيه ؟

سألته في اندهاش :

- ماذا فعلت !!؟

- لقد نمت إلى جوارى .

- أجل .. لقد غلبنى النوم من كثرة التعب .

- لكن هذا لا يصح .

- لماذا ؟؟

- ماذا سيقول الناس عني ؟ في مجتمعنا هذا خطأ .

- لکنک کنت مریضاً .. تحتاج لى بجوارک .

کانت تتکلم کما لو کان هذا هو المنطق ، وما عداہ
جنون .. ولكنه قال :

- (کارین) .. لا یصح أن تبیتى فى منزلى لأى سبب .

- أبداً .

- إلا لو کنت زوجتى .

- ألا یکفى أن تكون صديقى (My boy friend) .

- لا یوجد شىء کهذا عندنا .

- لکنى معجبة بک جداً ، وأود مصادقتک .

کان قد وقف ، وابتعد عن السریر ، مشت هى بركبتها
على السریر ، واقتربت منه ، فقال :

- بالطريقة التى تقصدينها لا .. هذا هو الحرام فى
دينى .

- وما هو التصرف الصحیح .

- الزواج ..

***** ٩٢ *****

- إذا کان هذا ما تريده .. فلنتزوج .

کانت تتحدث ببساطة أمسکت يده ، سحب يده ، وقال :

- لکن (کارین) .. لا أستطيع .

- ولم ؟؟

- أنا مرکب .. خاطب .

- وأین هى ؟

- فى القاهرة .

- ولماذا لیست هنا ؟

- أنا فى البداية کنت أعیش هناك .. کما أنها تريد الحياة
فى القاهرة .

- وعملک ! أستبقى أنت هنا وهى هناك .

- لا أعرف .. لقد رفضت المجيء .

- وهل ستذهب لتعيش معها هناك .

- لا .

- إذن ؟؟

- إذن ماذا ؟

***** ٩٣ *****

- سَتَظَلْ هَكَذَا إِلَى بَاقِي حَيَاتِكَ ؟ مَرْتَبُطٌ دُونَ أَنْ تَأْتِيَ هِيَ
لِلْحَيَاةِ ، مَعَكَ أَوْ تَذْهَبِ أَنْتَ لِلْحَيَاةِ مَعَهَا .

نَظَرَ (يُوسُفُ) إِلَى (وَنَامِ) فِي حُزْنٍ ، كَانَتْ تَبْدُو مَرَهَقَةً ،
وَوَجَدَ أَنَّهُ يَكْفِيهَا مَا قَصَصَهُ مِنْ تَفَاصِيلٍ وَقَرَّرَ أَنْ يَنْهِيَ الْقِصَّةَ .

«رَبِمَا هِيَ لَمْ تَرِدِ الزَّوْجَ مَتَى ..

رَبِمَا أَرَادَتْ مِغَامَرَةً ..

رَبِمَا أَعْجَبَهَا أَنِّي لَمْ أَطَارِدْهَا .. لَا أَعْرِفُ شَيْءً ..

أَنَا لَمْ أَدْعِ أَنِّي (دُونَ جُوانِ) ، وَلَا كَانَتْ هِيَ مُلْكَةً جَمَالٍ ..

كُنْتُ مُحِبِّطًا ، وَهِيَ أَكْثَرُ مِنْ رَاغِبَةٍ فِي

تَوَقَّفْتُ عَنِ الْمَقَاوِمَةِ ، وَتَزَوَّجْتُهَا ..

أَوْ رَبِمَا هِيَ الَّتِي تَزَوَّجْتَنِي ..

لَا أَدْرِي لِمَ تَزَوَّجْتَنِي .

وَبِمَاذَا خَدَعْتَ نَفْسِي وَقَتَهَا ، لِأَتَرَكَ نَفْسِي أَتَجَرَّفُ فِي هَذِهِ
الزَّيْجَةِ .

سَرْتُ وَرَاءَ (كَارِينِ) .. تَزَوَّجْتُهَا بِدَافِعِ الْحَاجَةِ ..

أَوْ بِأَيِّ دَافِعٍ آخَرَ ..

أَيًّا كَانَتْ الْأَسْبَابُ الَّتِي دَفَعْتَنِي لِلزَّوْجِ مِنْهَا ، فَلَمْ يَكُنْ
فِيهَا سَبَبٌ وَحِيدٌ صَحِيحٌ ، سِوَى رَغْبَتِي فِي أَلَا أُغْضِبَ اللَّهَ ..

وَأَفَقْتُ سَرِيعًا عَلَى أَنْ أَتَزَوَّجَ إِنْسَانَةً لَا أَحِبُّهَا ، بِشُرُوطِهَا
هِيَ ..

هِيَ وَحْدَهَا .

كَيْفَ مَرَّتْ حَيَاتُهُ مَعَ (كَارِينِ) فِي هَذِهِ الْفَتْرَةِ الْقَصِيرَةِ الَّتِي
جَمَعَتْهُمَا سِوَى دُرُوسِ غَطْسٍ وَسَهَرَاتٍ ، حَيَاةٍ بَدَتْ لَهُ حَافِلَةً
وِفَارِغَةً فِي الْوَقْتِ ذَاتِهِ ، حَيَاةٍ لَا تَنَاسِبُهُ ، كَانَ هُنَاكَ بَعْضُ
الزَّوْجَاتِ الْأَجْنِبِيَّاتِ يَسَاعِدْنَ أَزْوَاجَهُنَّ فِي أَعْمَالِهِمْ .. لَكِنَّهُ لَمْ
يَحَاوُلْ تَشْجِيعَ (كَارِينِ) عَلَى هَذَا ، وَبَدَتْ هِيَ ، وَكَأَنَّهَا مَعَهُ
الْيَوْمَ بِيَوْمِهِ دُونَ غَدٍ ، وَلَا أَمْسٍ ، دُونَ مَاضِيٍّ أَوْ مُسْتَقْبَلٍ ..
لِمَاذَا شَعَرَ بِحَيَاتِهِ هَذِهِ فَاتِرَةً ، بِأَنْ تَصَرَّفَاتِهَا مِبَالِغٍ فِيهَا ؟

لَكِنَّهُ تَقَبَّلَهَا .. كَانَ هَذَا اخْتِيَارَهُ ، لَقَدْ اخْتَارَ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا ،
وَعَلَيْهِ تَحْمِلُ مَسْئُولِيَّةَ هَذَا الْاِخْتِيَارِ ، أَيًّا كَانَتْ عَوَاقِبُهُ ..

شَعَرَ أَنَّهُ لَا يَوْجُدُ خَطَرَ رُجْعَةٍ ، فَلَا يَعْقِلُ أَنْ يَنْفَصَلَ عَنْهَا ،
بَعْدَمَا أَضَاعَ (وَنَامِ) مِنْ أَجْلِهَا .. نَعَمْ هَذِهِ حَيَاتُهُ ، وَهَكَذَا سَتَسِيرُ
حَتَّى النِّهَايَةِ ، وَعَلَيْهِ تَقَبَّلُهَا ، عَلَى الْأَقْلَ هَذَا مَا اعْتَقَدَهُ
وَقَتَهَا .

***** ٩٥ *****

***** ٩٤ *****

تذكر (يوسف) نهاية قصته مع (كارين) بوضوح تام ،
ولم يكن قد مرَّ شهر كامل على زواجهما ، عندما فوجئ بها
تلملم ملابسها داخل حقيبتها ، فسألها :

- إلى أين ؟!

- ميعاد سفري .. كما تعلم .

- لا أفهم ؟!

- الإجازة انتهت ، وأنا ما زلت أدرس .

- لكنى لا أريدك أن تسافرى .

- هذا لا يغيّر شيء .

- أنت زوجتى !!!!!

ضايقه تصرفها ، وتجاهلها لحقيقة مسئوليتها عنها ،
ومسئوليتها أمامه ، فقالت له :

- أنت أردت أن نتزوج ، ولهذا تزوجتك .. لكن ..

لم تكمل كلامها .. فسألها :

- لكن ماذا ؟

- لكن أنت بالنسبة لى صديق .. لقد كانت أسعد إجازة
قضيتها فى حياتى .

- إجازة .

حرك رأسه ساخرًا ، وقال :

- وجودى فى حياتك إجازة !

- أنا لم أخدعك بأكثر مما خدعت أنت نفسك .

- أنا خدعت نفسى !!!

- أنت لم تحبنى أبدًا ..

حاول أن يتكلم ، فقاطعه :

- لا تعارض .. ربما لو كنت أحببتنى لاختلف الأمر .

لم يستطع أن يصرَّ على بقائها ، وأن يقول أنه يحبها ..
من كان سيخدع .. ولكنه لم يتخيل للحظة أنها تعرف
بذلك .. بأن مشاعره مع أخرى قد تكون الآن تكرهه .

اتجهت للباب ، فاستوقفها ، قائلاً :

- وماذا لو كنت حامل ؟

فكّر فى فزع من احتمال أن تكون (كارين) هى أم
أطفاله التى تربيههم ، وتعلمهم .. فقالت :

- لا تقلق ، أخذت احتياطاتى من البداية .

فوجئ بما قالت ، فقال :

- هكذا دون أن تستشيرينى .

- كنت أعرف أنك قد لا تتركنى أذهب لو أن بيننا طفل ..
أو ربما كنت ستأخذه منى .. هذا أسهل كثيراً .

فكر فى ألم .. إن آخر شيء يريده هو أن يكون له طفل
منها ، فقال لها :

- من البداية وأنت تخططين لهذا .. من البداية وأنت
تعرفين أن الموضوع بضعة أسابيع .. إذن لماذا قلت أنك
تحبينى ؟

- لقد أحببتك ولم أذعك .. ربما خدعت نفسى ، عندما
ظننت أن حبنى وحده يكفى لإقامة علاقة ناجحة .. ربما لو
أحبيتى قليلاً ..

حركت رأسها ، وقالت :

- إلى اللقاء .. سأتى ثانية ، وسنلتقى .

- بل وداعاً .. لن نلتقى ثانية .

كان هذا آخر ما يستطيع (يوسف) أن يقصه من حكايته ..
سكت قليلاً .. لكن (ونام) لم تنطق ، انتظرت أن ينهى كل
مالديه .

***** ٩٨ *****

«تركتنى وأنا أشعر بفداحة ما حدث ..

هذا الموضوع لم يكن بلا ثمن ..

لا .. لم يكن زواجاً بلا ثمن ..

بل كان باهظ الثمن .. سرق منى أحلى شيء فى حياتى ..

سرقك أنت ، جعلنى أشعر بأنى ملوث .. أنا لم أكن فخوراً
بما فعلت ..

صدقينى ..

طلقتها وجئت .. وأخبرتكَ .

لكنك لم تستمع لى .. كان بإمكانى أن أخفى الأمر ، وأتكره ..

أكان هذا أفضل !؟

ردت عليه بسخرية :

- مسكين ..

سكتت تستجمع أفكارها ، قبل أن تكمل ساخرة :

- أهذا ما تريد .. أن أقول الآن ، حقاً أنا أشفق عليك ..

أنت لم تخن ، وهى استدرجتك ، وتزوجتك ، وعندما أفقت
بعد شهر العسل ، وقد تركتك ، طلقتها .. أليس كذلك ؟؟

- لقد تزوجتها .. وأخبرتكَ بالحقيقة .

- وأخبرتنى .. تزوجتها وأخبرتنى .

***** ٩٩ *****

أعادت الكلام بثورة عارمة :

- ولم تنطقهما كأنهما عذران أو سببان لأسامحك .. إتهما
خنجران طغنت بهما قلبي ، مزقته إلى أشلاء .
- كنت وحدي ..

لم تدعه يكمل حديثه ، قائلة :

- وكل مرة سأتركك وحدك ، ستزوج وتخبرني ، وتطلب
منى أن أسامحك .. ولم أسامحك ، وأنت لا تظن نفسك قد
أخطأت أصلاً .

- هذا غير صحيح .. أنا لم أرتكب معصية .

- وخيانتك لى .. كيف أثق بك بعد ذلك .. أين احترامى
وتقديرى لك ؟

تدافعت الدموع إلى عينيها ، وأجهشت فى بكاء هستيرى
وارتعش جسدها ، بل ارتج من كثرة البكاء .

مدّ يده يحاول تهدئتها ، فأردفت قائلة :

- اتركنى .. اتركنى .. وحدي من فضلك .

قالتها من بين شهقات البكاء .. ولكنه رد عليها قائلاً :

***** ١٠٠ *****

- سأكتسب ثقتك مرة أخرى .. صدقيني .. أعطيني فرصة ،
وسأكتسبها مرة أخرى .. اعتبريني أتقدم لك من البداية ،
وضيعني تحت الاختبار .

دأت قليلاً على الأقل فى الظاهر ، وهى تقول :

« (يوسف) .. لا ..

إلا (يوسف) ..

(يوسف) ملك ..

(يوسف) كانت أمامه الأجنبيةات من قبل فى الغردقة ، بل
والمصريات أيضاً ..

هنا وهناك ، ومنهن من هى أجمل من أى أجنبية .. »

- هذا ما رددت به على كل من حزننى من بقاءك هناك ..
ولم أخبرك حتى .. دافعت عنك ..

لم تستطع منع اللوم من أن يصعد إلى عينيها ، وهى تكمل :

- كانت ثقتى فيك عمياء .. كنت فى نظرى ملاكاً .

- أنا مجرد بشر عادى .. لا ملاك ولا نبي .. لحم ودم ..
لدئ مشاعر ورغبات .. هذا قدرى أرجوك .

***** ١٠١ *****

- أنت بشر ! وأنا جماد ؟! أنت هناك معرض للمغريات ،
وأنا هنا راهبة فى دير لا أختلط ببشر .

- أنت ؟؟!!

ذهل لما يعنيه كلامها ، وقد أشعلت الغيرة فيه ، وملأت
الحمية عروقه ، ولكنها قالت :

- نعم أنا .. أم تظن أن أحداً لن يحاول التقرب منى ،
أو يطلبنى للزواج .

- وأنت مخطوبة ؟!!

ابتسمت ساخرة ، وقالت :

- لم أرَ أن الخطوبة قد منعتك من شىء لتمنع غيرك ..
أم أن الخطوبة منعتك ، وأنا لا أدري وتزوجتها ، وأنت مبق
على خطوبتنا ومخلص لها .. تصدق لابد أنك فعلت ..
ما التعارض بين أن تتزوج وأن تظل مخلصاً لى ؟!

لم يعهدها مريرة أو ساخرة هكذا .. حاول معها قائلًا :

- ألا يشفع لى ويزيد من ثقتك ، أن فى السنتين الماضيتين ..
لم أفكر سوى فيك ، وفى عملى .

***** ١٠٢ *****

- ومن أين لى أن أصدقك ؟

- (ونام) ؟!!

قالها بتمزق آلمه مقدار عدم ثقتها به :

- تعالى واسألنى عنى إذا لم تصدقنى كل من فى الغردقة
سيخبرونك .. يكفينى ما مضى .. يكفينى الآلام والجراح ..
يكفينى أحلى سنوات عمرنا التى ذهبت .. سأستعيد ثقتك .

قالها بتصميم ، وعزيمة أثرت فيها ، وأكمل :

- وسأعوّضك عن كل هذه السنين ، وربى سأعوّضك .

أشارت إلى حقيبة النقود التى مازالت فى مكانها
بالصالون ، كما تركها يوم أن أعطاها لها ، وقالت :

- بماذا .. بهذه ؟

- لا .. ليس بالنقود .. النقود كانت محاولة لأراك مرة
أخرى ..

النقود هى آخر شىء فكر فيه ، أراد أن يفهمها هذا ، فقال :

- هى مجرد حجة أمامك أو أمام نفسى ، لأحاول معك مرة
أخرى ، بعد أن رفضتنى مرّات ومرّات .. عودى لى ،

***** ١٠٣ *****

وسأعوضك بحبي لك .. سأكرس نفسي لإسعادك وبناء
أسرتنا .. أريد أن تحملى أطفالى ، وتربيههم ، وأن تكونى
زوجتى ، وأنيسى ، فى الدنيا والآخرة .

سكت قليلاً ليرى تأثير كلامه عليها ، كان هناك تجاوباً ما
تحاول أن تخفيه جاهدة .. لكنه لاحظته .. وكان يعرف من
البداية أنه موجود ، ثم أكمل :

- لا أصدق أن حبك لى قد ذهب .

- حبيبى ؟ ألم تكن تقول منذ قليل أنى لم أكن أحبك .

- كانت غمامة على عيني وذهبت ، كان هاجساً قد تملكنى
فى لحظات مريرة مررت على ، وجعلتنى أعمى عن حقيقة حبك
وثقتك بى .. وإيثارك لى .. عن حقيقة إيمانك بى .. لا يمكن
أن يكون كل هذا قد ذهب .

لم يخبرها أن دليل ذلك أنها لم تتسه ، وأنها لم تقبل
أيها ممن تقدموا لها من بعده ، كان يتتبع أخبارها ،
ويتمنى لو تعود له .. كانت فكرة زواجها بآخر ستقضى
عليه ..

سألته فى تردد :

- (كارين) ؟

- صدقيني انتهت .. إنها لم تكن موجوده أصلاً .. لقد
عادت .

نظرت إليه مندهشة وقد فاجأها ما قاله ، فأكمل :

- نعم عادت ، لكنى لم أنظر لها مرتين ، ولا أتوى تكرار
الخطأ .. لقد مسحتها هى وغيرها من حياتى .. (ونام) ..
أعطنى فرصة لأثبت لك حبى ، وأبين أن ما حدث كان مجرد
كبوّة وقد دفعت ثمنها غالياً .

نظرت له (ونام) .. كان يبدو صادقاً فى كل ما قاله ..
لم تكن تريد أن تتدخ نفسها .. ما زالت تحبه .

تزوج أو لا .

ما زال قلبها ينخطف كلما رآته .

أنفاسها تنقل وحلقها يجف ..

كل حركة .

أقل حركة يقوم بها تؤثر فيها .. وصوته يعذبها ..

كم اشتاقت إلى أن تسمع صوته مرة ثانية .

لا شيء يعدل عندها عودة المشاعر الحلوة بينهما ..

مشاعرها كما هي .. بل ولعلها زادت اشتعالاً فترة
فراقه .

وكل شيء حولها يخبرها بأنها يحبها كالسابق ، وأكثر .

لكن .. لكن الاحترام ؟ والثقة ؟

هل تأمنه على نفسها ؟

هل تستطيع الثقة فيه ؟

ماذا يقول قلبها لها ؟

وماذا يقول عقلها ؟

أرادت من كل قلبها حدوث هذا ، احتاجته ليداوى
جراحها ، فقد فشلت وحدها في مداواتها ..

***** ١٠٦ *****

فشلت في إيجاد السعادة وحدها .. في إيجاد الاستقرار ،
والأمان .

ظن أنها ستتغلب على مشاعرها نحوه بمرور الوقت ،
ويكفيها التفكير في خيانتها لها ؛ لتكرهه ، أو لتسأه وتستمر
في حياتها .

لكن كل هذا لم يحدث .. ما حدث في الحقيقة هو أن
غضبها ذهب ..

كل مشاعرها السلبية تجاهه ذهبت ..

وبقى حبها له ..

وتعلقها به ..

بقيت سنوات الحب ..

تنهَّدت (ونام) في عمق ، وأغمضت عينيها .

شعرت أن المشاعر التي تملأ صدرها تفيض عنه .

هل تسامحه ؟!

***** ١٠٧ *****

سؤال بلا معنى ، لأنها سامحته بالفعل ومن وقت طويل ..

السؤال هو .. هل تخبره بذلك وتعود إليه ؟

هل تعود إليه ؟

هذا هو السؤال الحقيقي ..

وعليها وحدها إيجاد إجابته .

[ت م ت]

زهو

سلسلة رومانسية رفيعة المستوى

صدر من هذه السلسلة :

- | | | |
|-----------------------|-------------------------|------------------------|
| 67 - جراح الماضي . | 34 - هذا الرجل . | 1 - من أجلك . |
| 68 - حبيبتي الوحيدة . | 35 - التقينا من جديد . | 2 - لا تقل وداعاً . |
| 69 - آلام الحب . | 36 - نسمة الصباح . | 3 - قلوب لا تنبش . |
| 70 - كفانا عناداً . | 37 - لن أعود . | 4 - الدموع الباردة . |
| 71 - رجل أحببته . | 38 - الشريكان . | 5 - هي في حياتي . |
| 72 - نبع الحب . | 39 - أنت قدرى . | 6 - يا قلب لا تفقر . |
| 73 - مشاعر دافئة . | 40 - بلا أمل . | 7 - النبع الجاف . |
| 74 - أشواك الحب . | 41 - أحلام ضائعة . | 8 - طيور بلا أجنحة . |
| 75 - لن أبكى . | 42 - أبى الحبيب . | 9 - رسالة حب . |
| 76 - قلوب حائرة . | 43 - الحاجز . | 10 - لعبة القدر . |
| 77 - وداعاً للأبد . | 44 - لن أنساك . | 11 - العصفور الجريح . |
| 78 - فتاة جميلة . | 45 - سبتقى في قلبي . | 12 - أشجار الحب . |
| 79 - قسوة وغضبان . | 46 - أحبيبتك في صمت . | 13 - رحلة قلب . |
| 80 - ليس من أجلى . | 47 - رجل وقلبان . | 14 - شمس الليل . |
| 81 - سحابة سيف . | 48 - الحب الجريح . | 15 - الحب بلا أرقام . |
| 82 - زهرة برية . | 49 - الحب والاختيار . | 16 - لقاء الحب . |
| 83 - زهرتي الجميلة . | 50 - وابنتك في الحياة . | 17 - المرأة السوداء . |
| 84 - ابتسامة القدر . | 51 - اللقاء الأخير . | 18 - حب وكراهية . |
| 85 - لعبة الزمن . | 52 - عودة الفانيب . | 19 - وذاب الجليد . |
| 86 - شاطئ الأمان . | 53 - أمواج الحب . | 20 - حب وسعد النيران . |
| 87 - فجر جديد . | 54 - معك دائماً . | 21 - دموع كيوييد . |
| 88 - حب وحرمان . | 55 - اغفر لى . | 22 - أوهام الحب . |
| 89 - ليل ونهار . | 56 - لقاء في الغروب . | 23 - نداء قلبي . |
| 90 - سأنظرك دائماً . | 57 - جدار الماضي . | 24 - حذار من الحب . |
| 91 - بعد الانتظار . | 58 - لأنى أحبك . | 25 - الموعد . |
| 92 - حب بلا موعد . | 59 - الأسيرة . | 26 - وداعاً يا حبي . |
| 93 - زواج العمر . | 60 - مرجحاً بالحب . | 27 - حبي المذهب . |
| 94 - القرار الصعب . | 61 - شمعة لا تنطفئ . | 28 - لك قلبي . |
| 95 - معنى السكوت . | 62 - لا ترحلى . | 29 - الحلم . |
| 96 - يارا . | 63 - نسمة حب . | 30 - زوجي . |
| 97 - اغفري يا قلب . | 64 - الصديقتان . | 31 - الحب والمعجزة . |
| | 65 - الوجه الدميم . | 32 - وداعاً للماضي . |
| | 66 - خفقات قلب . | 33 - طائر غريب . |



منى منصور

السلسلة الوحيدة التي لا يجد القارئ
أو القارئة حرجاً من وجودها بالمثل

اغفر ياقلب

أحب (يوسف) (ونام) وأحبته ..
وكانت على استعداد لأن تضخى من أجله
بكل شيء ..
عندما تركها انهارت ..
وعندما عاد تساءلت ..
هل يغفر الحب ؟

97

إقامة وشتر
المؤسسة العربية الحديثة
للطباعة والنشر
TAKATUL - SARAF - AL-ARABIA
القاهرة - مصر

الثلثون في مصر ٢٥٠

وما يعايله بالدولار الأمريكي في سائر الدول العربية والعالم

